الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة يحي فارس – المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الوجود العثماني في تونس من خلال كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر

في تخصص تاريخ الدولة العثمانية

من إعداد الطالبة:

* عفاف بن جابو

تحت إشراف الأستاذ:

* تقي الدين بوكعبر

السنة الجامعية: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكـر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أهدى إليكم معروفا فكافئوه

فإن لم تستطيعوا فادعوا له".

وعملا بهذا الحديث واعترافا بالجميل، نحمد الله عز وجل ونشكره على أن وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "بوكعبر تقي الدين"

الذي رافقنا طيلة هذا البحث وأمدنا بالمعلومات والنصائح القيمة راجين من الله أن يسدد خطاه ويحقق مناه فجزاه الله كل خير.

وكل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد.



إهـداء

أولا لك الحمد ربي على كثير فضلك وجميل عطائك

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أهدي ثمرة هذا البحث:

إلى درعي الذي به احتميت وفي الحياة به اقتديت والذي شق لي بحر العلم والتعلم..

إلى من احترقت شموعه ليضيئ لي درب النجاح ركيزة عمري وصدر أماني وكبريائي وكرامتي، "أبي أطال الله في عمره.

إلى ذلك الحرف اللامتناهي من الحب والرقة والحنان، إلى التي بحنانها ارتويت وبدفئها احتميت وبنورها اهتديت وبصبرها اقتديت ولحقها ما وفيت،

إلى أغلى الحبايب * أمي * حفظها الله.

إلى زوجي الذي زرع في حب العلم والعمل، إلى من شجعني على المواصلة رغم التعب والمسؤولية، إلى من أفخر به أهديك نجاحي وثمرة تعبنا طيلة هذه السنوات الدراسية.

إلى ثمرة فؤادي وأميرة قلبي وأنيسة وحدتي وقرة عيني ومدللتي

ابنتي الغالية * دانية *

إلى من شاركتني تعب هذا البحث، صديقتي وحبيبتي *عائشة*

إلى أحسن من عرفني بهم القدر، رفيقات الروح "أميرة، أمال".

إلى كل من لم يدركهم قلمي، أقول بعدتم ولم يبعد عن القلب حبكم.

عفاف

❖ قائمة المختصرات:

الرمز	الدلالة
تح	تحقيق
ج	الجزء
د.ط	دون طبعة
ص	الصفحة
تع	تعريب
هـ	الهجري
م	الميلادي
تق	تقديم
تر	ترجمة
مج	المجلد
ص ص	تعدد الصفحات

المقدمة

مقدمة :

لقد عرفت بلاد المغرب الإسلامي مع وصول العثمانيين إليها تغيرات سياسية واقتصادية وثقافية ودينية، خاصة بلاد تونس التي كانت أول وأهم محطة من محطات هذا الوجود، بحيث تشكلت إيالات مغاربية عثمانية في شمال افريقيا، أصبحت لها مكانتها في حوض البحر الأبيض المتوسط ومن بينهم إيالة تونس التي هي محور بحثنا وللإلمام بجوانب هذا الموضوع عدنا إلى كتب مؤليفها عاصروا الفترة، ومن بين المصادر الهامة كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لصاحبه محمود مقديش الذي أعطانا الصورة الصادقة لأوضاع تونس خلال العهد العثماني، وتكمن أهمية الموضوع في أن صاحب الكتاب هو شاهد عيان بصفته مؤرخ وقريب من السلطة، ولم يقتصر على سرد الأوضاع والتطورات السياسية فقط بل سلط الضوء على كل الجوانب حتى حياته الشخصية، مما جعلنا نختار الموضوع التالي:

- الوجود العثماني في تونس من خلال كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش.

✓ دواعي اختيار الموضوع:

تم اختيار هذا الموضوع من أجل معرفة تاريخ تونس بصفة عامة والتعرف أكثر على شخصية محمود مقديش الذي كان له دور كبير في النضال السياسي التونسي، وشهد الكثير من الأحداث وأنه من واجبنا التعريف به والتعرف على محتوى كتابه "نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار المجلد الأول والثاني"، فهذا العنوان كان ملفت للنظر، حيث ولد لدينا الفضول لمعرفة محتواه، وتحليل المعلومات الواردة فيه.

✓ أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذا الموضوع في معرفة الأوضاع السياسية والإقتصادية و الإجتماعية والدينية التي كانت في تونس، ومتابعة التطورات والأحداث التي ذكرها الكاتب هذا ما جعل الكتاب يكون مصدرا أساسيا للباحث في تاريخ تونس.

ولدراسة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية:

– ما مدى تمكن محمود مقديش من نقل الوقائع والأحداث التاريخية في الإيالة التونسية من خلال كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ؟وتتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات:

1– من هو محمود مقديش؟

2– ماهي الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب؟

3– كيف صور محمود مقديش الأوضاع السياسية والاقتصادية والإجتماعية والدينية في إيالة تونس؟

✓ المنهج المتبع في الدراسة:

نظرا لطبيعة الموضوع وطريقة طرحه اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يسمح لنا بعرض الأحداث و الوقائع التاريخية ووصفها كرونولوجيا.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة اعتمدنا الخطة الآتية:

مقدمة: عرفنا بالموضوع وأهميته والدافع من اختيار هذا الموضوع و طرح الإشكالية.

جاء المبحث الأول تحت عنوان التعريف بصاحب الكتاب، حيث قسمناه إلى أربعة مطالب تناولنا في:

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني:شيوخه و مؤلفاته.

المطلب الثالث: وظائفه.

المطلب الرابع: وفاته

أما فيما يخص المبحث الثاني تحت عنوان التعريف بالكتاب قسمناه إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدراسة الظاهرية

المطلب الثاني: مضمون الكتاب.

المطلب الثالث: مصادر الكتاب.

المطلب الرابع: أهمية و قيمة الكتاب.

أما المبحث الثالث فجاء هو الأخير بعنوان أوضاع تونس خلال العهد العثماني على ضوء ما ورد في الكتاب، وينقسم بدوره إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأوضاع السياسية.

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية.

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية و الدينية.

لنتوصل في الختام إلى مجموعة من الإستنتاجات كخاتمة للموضوع.

من أجل إنجاز هذا الموضوع اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

– محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار كونه عايش فترة مهمة من التواجد العثماني في تونس.

– ابن أبي الضياف، إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان الذي يعتبر كتاب جد مهم من المصادر التي تحدثت بدقة عن تاريخ تونس في جميع الميادين وبكل فصوله.

– محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، وتناول في دراسته أهم العصور الحديثة من الفتح الإسلامي إلى غاية الاستقلال.

– عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية وهو كتاب مهم تناول الوجود العثماني في الآيات المغاربية الثلاث.

✓ الصعوبات:

لا تخلو أي دراسة من الصعوبات فمن الصعوبات التي واجهتها في دراستي هذه:

– صعوبة في ترتيب المعلومات لأن الكاتب كان أحيانا يخرج عن الموضوع كثيرا.

– تشابه المادة العلمية في الكثير من المصادر التونسية من ناحية سرد وصياغة الوقائع والأحداث.

– شساعة وتنوع الجانب العلمي في فترة تونس العثمانية.

– نقص المادة التاريخية والمعرفية خاصة ما تعلق بترجمة صاحب الكتاب، وهذا ما انعكس على المبحث الأول، حيث كانت الترجمة لا تعكس شخصية الرجل.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب

المطلب الأول: مولده ونشأته

المطلب الثاني: شيوخه ومؤلفاته

المطلب الثالث: وظائفه

المطلب الرابع: وفاته

المبحث الأول: التعريف بالكاتب

المطلب الأول: مولده ونشأته

ذكر الصفاقسي مولده ونشأته في كتابه قائلا:

هو محمود بن سعيد مقديش (بفتح الميم و القاف المعقدة الساكنة والدال المهملة المكسورة) الفقيه المؤرخ المشارك في علوم ولد بصفاقس، في سنة 1742/1154م، ونشأ في عائلة نبيهة من أنبه بيوت صفاقس أصلها من أنشلة (Usulla) وتنسب إلى سيدي مخلوف الشرياني إحدى قرى صفاقس من الجهة الشرقية، وتربى تربية صالحة، فقضى معظم حياته بين طلب العلم والتدريس والتأليف معتمدا على نفسه، مستهينا بالصعاب والعقبات في عمامية نادرة لا يثبطها ولا يثني عزمها أحرج الظروف المادية.[1]

كما ذكره الزركلي في كتابه الأعلام: (1228 – 1813م) محمود بن سعيد مقديش، أبو الثناء الصفاقسي، مؤرخ اشتهر بتونس، وزار مصر، وتوفي بالقيروان، ودفن ببلدتة صفاقس.[2]

وذكر هارون بن عبد الرحمان آل باشا الجزائري في التحقيق الثاني لكتاب نزهة الأنظار محمود مقديش قائلا: هو الفقيه المؤرخ، والرحالة والنبيه أبو الثناء محمود مقديش –بقاف معقودة– ولد بصفاقس في سنة (1145 – 1733م) ونشأ في أنبه بيوت صفاقس.[3]

---

[1] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج1، ت ح، علي الزواري محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988، بيروت، لبنان، ص13.

[2] خير الدين الزركلي، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال النساء بين العرب والمستعربين والمستشرقين ، المجلد السابع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1423/2002هـ، ص172.

[3] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج1، ت.ج، هارون بن عبد الرحمان، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2019 – 1440هـ، ص8.

المطلب الثاني: شيوخة ومؤلفاته

أ/- شيوخه:

أشار أبو الثناء في كتابه إلى شيوخه، حيث قال بأنه تلقى العلم في مبتدأ أمره عمن أدركه ببلده من تلامذة الشيخ علي الفوزي كالشيخ محمد الزواري، والمحدث المفسر الشيخ رمضان بوعصيدة، وأخذ الفقه عن المقرئ الفقيه الرياضي الشيخ علي الأومي، وشاركه في شيوخه التونسيين والمصريين، والشيخ محمد الدرناوي الليبي عند إقامته بصفاقس قبل أن يستقر نهائيا بالحافرة، ثم إلتحق بجامع الزيتونة، ولقي أعلامه كالشيخ قاسم المحجوب، والشيخ محمد الشحمي كبير علماء المعقولات في عصره والشيخ المحدث الفقيه الرحالة عبد الله السوسي السكتاني المغربي، وهو من شيوخ الشيخ علي الأومي، وعاقته قلة ذات اليد عن إرواء غلته من طلب العلم والإقامة بتونس، فانتقل إلى الزاوية الجمنية بجربة، وقرأ هناك مختصر الشيخ خليل بشرح الشيخ محمد الخرشي وشرح الشيخ عبد الباقي الزرقاوي على الشيخ إبراهيم الجمني الحفيد، والشيخ أحمد بن عبد الصادق الجبالي العيادي الليبي، ثم جاور بالأزهر وهو كهل متزوج له ذرية، فأخذ العلوم الرياضية عن الشيخ أحمد الدمنهوري وحسن الجبرتي والد المؤرخ عبد الرحمان، وأخذ عن الشيخ علي الصعيدي الفقه والحديث، وقرأ على غيرهم من شيوخ الأزهر.[1]

كما ترجم له محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، حيث قال أنه أخذ ببلده عن الشيخ اللومي، واعتمد عليه محمد الفراتي، وأخذ بتونس عن الشيخ الشحمي وشيخ قاسم المحجوب وهو أخذ عن الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي وأخذ بمصر عن الشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ علي الصعيدي وغيرهم.[2]

[1] محمود، مقديش، المصدر السابق، ص13.

[2] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349، ص526.

ب/ تأليفه:

ذكر محمود مقديش تآليفه في كتابه :

1- حاشية على العقيدة الوسطى للسنوسي ينقل فيها من كتب قليلة الوجود في عصر للسمرقندي مطبوعة على الحجر بتونس، سنة 1321 / 1903م، جزءان في مجلد واحد

2- حاشية على تفسير أبي السعود العمادي سماها "مطالع السعود على تفسير أبي السعود" بمكتبة المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر.

3- شرح على المرشد المعين في الفقه المالكي للشيخ عبد الواحد بن عاشر، جزءان.

4- شرح جانب من التذكرة للقرطبي، انفرد بذكره الشيخ محمد المهيري في بحثه المنشور بمجلة الثريا، شعبان 1963 جويلية 1946، ص109.

5- شرح على كشف الأستار القلصادي سماه "إعانة ذوي الإستبصار على كشف الأستار عن علم حروف الغبار"، وهو مختص من كتاب القلصادي كشف الجلباب في علم الحساب، وهذا مختصر من كتابه التبصرة، وهو أول مؤلفات المترجم، توجد نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس لمكتبة ح.ح عبد الوهاب بخط محمد المحمودي في أواسط ذي الحجة 1283 في 312 ورقة 21 سطرا قياس 22/16سم، وتوجد منه قطعة أخرى في 50 ورقة بنفس المكتبة.[1]

6- القول الجاوي في جواب وقفة الشيخ يحي الشاوي في الفرق بين السبب والشرط، مخزون بالمكتبة الوطنية بتونس (مكتبة ح.ح عبد الوهاب) بخط علي بن عون الساسي بتاريخ ذي القعدة 1242، 7 ورقات، قياس 16، 22، وتوجد بها نسخة أخرى.

[1] محمود مقديش، المصدر السابق، ص15.

7- وأشهر مؤلفاته هو تاريخه المعروف ب "نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار"، والمعروف أيضا ب "دائرة مقديش".[1]

المطلب الثالث: وظائفه

ذكر محمود مقديش في كتابه أنه كان موجودا بالإسكندرية سنة إحدى ومائتين و ألف/1786، ولعل ذلك كان لغرض التجارة، وكان مدة مجاورته بالأزهر ينسخ الكتب الثمينة، ثم يؤوب إلى بلده صفاقس، ويبيع ذلك إلى علماء المدينة، ويترك محصول ذلك لزوجته وذريته، ويرجع للقاهرة لاستكمال قرائته وبعد تخرجه من الأزهر انتصب للتدريس مجانا ببلده،[2] كتب ابن أبي الضياف عن وظائف محمود مقديش، حيث قال: ولما تطلع من العلوم رجع إلى بلده صفاقس فأفاده وأجاده ونفع العباد، وتزاحمت على منهله الوارد، وأفنى عمره في هذا المراد وأتى بما يستجاد فتلاميذه بصفاقس أعلام وأيمة في الإسلام، وكان متخلقا بالإنصاف سمح بما عهد فيه من محمود الأوصاف.[3]

وكان لايقتصر في تدريسه على أسلوب الإلقاء والتلقين، بل يستخدم الأسئلة عن المشاكل والقواعد في قالب قصصي مخترع لاختبار ذكاء الطلبة، ومعرفة ماهضموه من معلومات، وتروى له حكايات يرويها بعضهم إلى اليوم ولبث ببلده مقسما أوقاته بين التدريس والتأليف واحتراف التجارة لكسب قوته متجافيا عن الوظائف الرسمية.[4]

[1] محمود مقديش،المصدر السابق، ص17.

[2] محمود مقديش، المصدر السابق، ص13.

[3] أحمد بن أبي الضياف، المصدر نفسه، ص85.

[4] محمود مقديش، المصدر السابق، ص14.

المطلب الرابع: وفاته

على ضوء ما جاء في كتاب الصفاقس أنه هاجر إلى القيروان في آخر حياته، إذ توفي بها، وحمل جثمانه إلى صفاقس، واختلف في تاريخ وفاته،[1] حيث ذكر محمد مخلوف في شجرة النور الزكية أنه توفي سنة 1228هـ (1813م)،[2] كما أشار إلى ذلك هارون بن عبد الرحمان آل باشا الجزائري في الطبعة الثانية لكتاب "نزهة الأنظار"، توفي الشيخ أبو الثناء محمود مقديش في أثناء زيارته لمدينة القيروان سنة (1228هـ / 1813م) على ما رجحه محمد محفوظ، وكان برفقة ابنه الشيخ محمود، فحمله ودفن في مقبرة آله بصفاقس.[3]

وأشار أحمد عبد السلام في أطروحته حول المؤرخين التونسيين أنه توفي في سنة 1228 / 1813م وهو التاريخ الذي ورد في المخطوط المشار إليه وفي ملحق الطبعة الحجرية، وكتب محمد محفوظ في كتاب تراجم المؤلفين التونسيين قائلا: لعل هذه الزيادة كتبت في الهامش فأظافها بعض النساخ إلى صلب الكتاب، وهذه الزيادة شديدة الاختصار مباينة لأسلوب الكتاب.[4]

يرى نالينو أن هذا التاريخ قد يخالف الواقع اعتمادا على أحد فهارس مكتبة جامع الزيتونة إذ جاء فيه نقلا عن الفرنسية: "توفي في سنة 1228 حسب المؤرخ ابن أبي الضياف أو في سنة 1229 هـ حسب الباش مفتي الفراتي بصفاقس، وهو أحد تلاميذ المؤلف ، وهذا التاريخان يخالفان الواقع لأن محمود مقديش لم يكمل تاريخه إلا في سنة 1233هـ.[5]

---

[1] محمود مقديش، المصدر السابق، ص14.

[2] محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص526.

[3] محمود مقديش، ط2، المصدر السابق، ص11.

[4] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008، ص356.

[5] محمود مقديش، المصدر السابق، ص14.

ويضيف نالينو أن مقديش تحدث فعلا عن محمود باشا الذي استمر حكمه إلى سنة 1233هـ، ونقل كراتشكوفسكي خلاصة نالينو وأثبت أنه توفي بعد عام 1233هـ / 1818م.

وتعليل نالينو لإسقاط سنة 1228 هـ كتاريخ لوفاة المؤلف ساقط من أساسه، وميله إلى سنة 1233 في غير محله، فنالينو اعتمد في كل ذلك، على ما جاء في آخر الباب الأول من المقالة الحادية عشرة عن محمود باشا ذكره الصفاقسي قائلا: "وهو أمير عصرنا سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين.[1]

[1] محمود مقديش، المصدر السابق، ص14.

المبحث الثاني: التعريف بالكتاب

المطلب الأول: الدراسة الظاهرية

المطلب الثاني: مضمون الكتاب

المطلب الثالث: أهمية وقيمة الكتاب

المطلب الرابع: مصادر الكتاب

المبحث الأول: التعريف بالكتاب

المطلب الأول: الدراسة الظاهرية

كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش، هو كتاب يحتوي على مجلدين المجلد الأول فيه 638 صفحة، والمجلد الثاني الذي اعتمدته في بحثي من الطبعة الأولى 1988 يحتوي على 608 صفحة وهو كتاب من الحجم المتوسط تحتوي صفحة واجهته الملونة باللون الأسود على عنوان الكتاب المكتوب بالخط العريض والمزخرف، ويعلوه اسم المؤلف محمود مقديش، ثم نجد في الأسفل التحقيق من قبل علي الزاوي ومحمد محفوظ ورقم المجلد، ومباشرة تحته دار النشر "دار الغرب الإسلامي"[1] وفي الصفحة التي تلي صفحة الواجهة هناك عنوان الكتاب مكتوب في أسفلها على اليسار تتبعها صفحة بيضاء، وتليها صفحة أخرى نجد فيها معلومات تخص دار النشر والطبعة وبلد النشر والسنة على التوالي "جميع الحقوق محفوظة، الطبعة الأولى 1988، دار الغرب الإسلامي، 5787، 113، بيروت، لبنان.

أما الصفحة ما قبل الأخيرة نجد فيها كل التفاصيل التي تخص الكتاب من دار النشر حتى الطباعة، وكذا ترقيم الكتاب الدولي، وفي الصفحة الأخيرة التي هي باللون الأبيض مكتوب عليها اسم مؤلف الكتاب وعنوان الكتاب بخط غليظ واسم التحقيق ودار النشر ولكن بلغة مغايرة وهي "اللغة اللاتينية".

[1] أنظر الى الملحق رقم 01

المطلب الثاني: مضمون الكتاب

قسم محمود مقديش نزهة الأنظار إلى جزئين متعادلين حجما، يضم الجزء الأول مقدمة وعشر مقالات، ويضم الجزء الثاني مقالة وهي المقالة الحادية عشر وخاتمة وقسم بعض المقالات والخاتمة إلى أبواب من إثنين إلى أربعة:[1]

المقدمة:

وهي مقدمة قصيرة ضبط المؤلف فيها سبب كتابته للنزهة وضبط منهاج عمله ومفهومه للتاريخ.

❖ المقالة الأولى:

في تحديد المغرب برا وبحرا وأسماء البلدان وهي أطول المقالات قسمها إلى أربعة أبواب:

- الباب الأول: في تحديد المغرب برا وبحرا.
- الباب الثاني: في بر المغرب الأقصى والمغرب الأوسط إلى حدود بجاية.
- الباب الثالث: في بقية المغرب الأوسط وجميع المغرب الأدنى.
- الباب الرابع: جزيرة الأندلس.

❖ المقالة الثانية:

في ذكر الخلافة وخلفاء الصحابة بها يبتدأ القسم التاريخي وقسمها إلى ثلاثة أبواب:

- الباب الأول: في الخلافة وخلافة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة.
- الباب الثاني: في خلافة بني أمية.

[1] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ت.ح، علي الزواري، محمد محفوظ، الجزء الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص20.

– الباب الثالث: في فتوحات المغرب الواقعة أيام الصحابة وبني أمية.

❖ المقالة الثلاثة:

في ذكر خلفاء بني العباس وبعض أمرائهم بالعراق وقسما إلى ثلاثة أبواب:

– الباب الأول: في ذكر خلفاء بني العباس.

– الباب الثاني: في ذكر بعض أمر بني العباس بالمشرق: الصفاريين السمائيين والغزويين والديالمة والسلاجقة والخوارزمية وتعرض في أوله إلى النثر وحروبه.

– الباب الثالث: في مشاهير أمراء بني العباس بالمغرب واستعرض بعض ولاة إفريقية والدولة الأغلبية.

❖ المقالة الرابعة:

في ذكر ملوك الشيعة بالمغرب وكيفية انتقالهم إلى مصر وما تبع ذلك.

❖ المقالة الخامسة:

في ذكر ملوك صنهاجة بالمغرب وصلاح الدين بمصر وقسمه إلى بابين:

– الباب الأول: في ذكر ملوك صنهاجة وكيفية خروجهم عن طاعة الفاطميين ونزوح العرب من مصر إلى إفريقيا.

– الباب الثاني: في ذكر دولة نور الدين وصلاح وفيه ركز المؤلف على الحروب الصليبية وانتصارات الأيوبيين على المسيحيين.

❖ المقالة السادسة:

في ذكر خلفاء بنو أمية في الأندلس.

❖ المقالة السابعة:

في ذكر ملوك لمتونه ويسميهم الملثمين والمرابطين.

❖ المقالة الثامنة:

في ذكر دولة الموحدين وأمرائهم بالغرب والأندلس وافريقيا قسما إلى ثلاثة أبواب:

- الباب الأول: في قيام الدولة الموحدية وتاريخها العام.

- الباب الثاني: في فتح عبد المؤمن للمهدية وللبلاد الساحلية من أيدي الزمان.

- الباب الثالث: في ذكر ثوار إفريقية على الموحدين.

- المقالة التاسعة: في ذكر دولة بني مرين وبني زيان وبني نصر.[1]

❖ المقالة العاشرة:

في ذكر دولة بني حفص في افريقيا وهي مقالة طويلة تحدث فيها عن الدولة الحفصية من خلال أمرائها والأحداث التي تعرضت لها.

أما المجلد الثاني تكملة لما قبله، حيث يبدأ بالمقال الحادي عشر ويندرج ضمنه ثلاث أبواب، ذكر في الباب الأول المضمون في ذكر سلاطينهم لدولة آل عثمان وبدايات ظهورهم وأصولهم، ومن هم ومن أين آتوا والتسلسل الزمني للسلاطين بداية من الحكم عثمان الأول الذي يعد مؤسس للدولة العثمانية من بعد أبيه الذي كان ذلل الطريق سابقا، وقد نهج الطريق بعده أورخان ابنه عثمان الذي اهتم ببناء الجيش على عصرية، وخلفه سلطان مراد الأول (1326-1389م) الذي كان متمسكا بالنظام إلى أبعد حده وعاد بين الناس محبا لجنوده وبعد استشهاده جاء بايزيد بن مراد الأول الذي يلقب بالصاعقة "بلدرم"

[1] محمود مقديش، الجزء1، نفس المصدر السابق، ص21.

وتولي بعده الحكم محمد الأول الذي عرف باسم محمد جلبي كان شجاعا مقداما مجاهدا، افتتح عدة قلاع وبلاد، ثم ولي بعده السلطان مراد خان الثاني وكان ملكا مطاعا فتح عدة بلدان كبلاد سمندر وقلعة صورة، فتولى ولده السلطان محمد بن مراد خان السلطة من بعده وكان مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وهو الملك الأصيل، الفاضل النبيل، الطاهر الجليل، أعظم السلاطين جهادا وأقواهم أقداما واجتهادا، وأكثرهم على الله توكلا قام بفتح القسطنطينية التي كان بهاافتخار الكفرة على الإسلام ففتحها وبدلها من رجس الكفر بطهارة الإسلام، حيث ذكر الكاتب مقديش نبذة تاريخية عن هذا الفتح بقوله أن أول من بناها من ملوك الروم قسنطين بن قسنطينة وسماها قسنطينة بإسمه،[1] ثم ولي بعده السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد مولده سنة ست وخمسون وثمانمائة افتتح الفتوحات كقلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة قلعة متون وغير ذلك من القلاع والحصون.[2]

السلطان سليم خان الأول الغازي الذي كان يلقب ب "ياروز" أي الشديد لقسوة طبعه بعد اعتلائه العرش وتثبيت أقدامه في الحكم والتفاهم مع الدول الأوربية الفاعلة ليتفرغ لأخطر أزمة واجهتها الدولة منذ أعقاب معركة أنقرة ألا وهي القضية الإيرانية هو تاسع سلاطين آل عثمان وسابع من تلقب بلقب سلطان بينهم بعد والده بايزيد الثاني وأجداده من محمد الفاتح إلى مراد الأول والثالث من حمل اللقب القيصر و أول خليفة للمسلمين من بني عثمان، سياسةالسلطان سليم سارت على أساس، وهي القضاء على الدولة الصفوية الشيعية وضم الدولة المملوكية وحماية الأراضي المقدسة وملاحقة الأساطير البرتغالية ودعم حركة الجهاد البحري في الشمال الإفريقي للقضاء على الإسبان.[3]

[1] محمود مقديش،مج2،نفس المصدر السابق، ص19.

[2] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص32.

[3] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص35.

وبدأ سليم الأول يسرع في تحريك الصراع بينه وبين الشاه إسماعيل وفي الأخير تغلب السلطان سليم على الشاه إسماعيل وقام بالدخول إلى تبريز وحاصر أموال الشاه الصفوي، حيث لم ينته الصراع بين السنة في الدولة العثمانية والشيعية في إيران بإنتهاء معركة جالديران، وازداد العداد حدة وظل الطرفان يتربص، كل منها الآخر وكانت نتيجة الصراع بين العثمانيين والصفويين ضم شمالي العراق وديار بكرالي الدولة العثمانية وأمن العثمانيون حدود دولتهم الشرقية و سيطرة المذهب السني في آسيا الصغرى بعد أن قضي على أتباع وأعوان اسماعيل الصفوي ثم هزيمته الشنيعة في جالديران، وهذا أشعر الدولة بمسؤوليتها اتجاه العالم الاسلامي، وشعور الدولة العثمانية بضرورة القضاء على القوة الثانية ألا وهي دولة المماليك وبعد التغلب على الصفويين بدأ السلطان يستعد للقضاء على الدولة المملوكية ووقع صدام بينهما وانهارت دولة المماليك لعدم تطوير أسلحتهم وكثرة الفتن والقلاقل وسوء الأحوال الإقتصادية وغيرها، ثم دخل السلطان سليم في صراع مع البرتغاليين، حيث احتفظ هنا العثمانيون بالأماكن المقدسة وطريق الحج، حماية الحدود البرية من هجمات البرتغاليين وبعدها توفي السلطان سليم فتولى بعده ولده السلطان سليمان خان، حيث إستمر في السلطنة تسعا وأربعين سنة وهو سلطان فاز في سبيل الله مؤيدا في حروبه ومغازيه، فافتتح البلاد الشاسعة والأقطار الواسعة بالقهر والحجة والسيف ورفع شعائر الشريعة وأعلى منارها، وفي أيامه السعيدة عمل له العلامة مولانا أبو السعود تفسيره المشهور وغزوا بنفسه ثلاث عشر غزوة،[1] من غزواته المشهورة غزوة أولوثيه المعروفة بكورفس من أتباع إسبانيا.

وآخر غزواته الكبار غزوة سكتوار وكان ذلك عندما أصابه مرض النقرس فتألم به أشد الألم وهو يظهر الجلد والقوة إرهابا للعدو،[2] ولما انتقل إلى دار السعادة و الحسنى وزيادة خلفه السلطان سليم خان الثاني الذي كان مجاهدا في سبيل الله محبا للعلم وأهله،

[1] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص49.

[2] نفسه، ص53.

وفي دولته السعيدة وأيامه الغير الحميدة وقعت فتوحات عديدة عظيمة فمن أشهرها وأعظمها فتح حلق الوادي بمدينة تونس تحت سلطنة إفريقية بعد استيلاء الكفرة اللئام عليها، ومنها فتح جزيرة قبرص التي كانت جزيرة عظيمة للروم وبها قرى ومزارع وأشجار كثيرة ومواشي، وفيها معدن الزاج القبرسي.[1]

أرسلت الدولة العثمانية أسطولا بحريا كان الموقف الدبلوماسي مؤاتيا للقيام بهذه الحملة لكن في غمرة هذه الظروف تقدم الأسطول العثماني نحو قبرص، وأنزل الجنود في ميناء لارنكا، ثم تقدما نحو العاصمة نيقوسيا وبعد سقوط العاصمة تداعت المدن المهمة في الجزيرة، وسقطت بأيدي العثمانيين وبذلك تم فتح الجزيرة وأضحت منذ ذلك الوقت تابعة للدولة العثمانية، وبعدها توفي السلطان سليم خان، ودفن قرب أيا صوفيا.

وذكر الكاتب محمود مقديش بقية سلاطين آل عثمان بذكر أسمائهم فقط لأن غرضه بيان أحوال افريقية وحكم بذكرهم لتحصيل بركتهم واظهارا لحبهم وتعظيما لشأنهم فقال: تولى السلطة بعد السلطان سليم ولده السلطان مراد خان ومدة سلطته واحد وعشرون سنة ثم بعده السلطان محمد خان ومدة سلطنته تسع سنين، ويليه السلطان أحمد ومدة سلطنته أربع عشرة سنة.

ثم تولى بعده السلطان مصطفى وبعده السلطان عثمان خان ومدة سلطنته أربع سنين، وحكم بعده السلطان مصطفى خان ومدة سلطنته سنة واحدة، ثم تولى بعده السلطان مراد خان ومدة سلطنته ستة عشر سنة، ثم تولى مقالد السلطة بعده السلطان إبراهيم خان ومدة سلطنته ثمانية سنين، ثم تولى بعده السلطان محمد خان غازي وفاتح كندتيه ومدة سلطنته أربعون سنة، ثم تولى بعده السلطان سليمان خان ومدة سلطنته ثلاث سنين، وتولى بعده السلطان أحمد خان ومدة سلطنته أربع سنين، وبعده السلطان مصطفى ومدة حكمه تسع سنين ثم بعده السلطان أحمد خان غازي فاتح الصورة، وبعده السلطان

[1] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص59

محمود خان، ثم تولى بعده السلطان عثمان خان ومدة حكمه ثلاث سنين، ثم تولى بعده السلطان مصطفى خان ومدة سلطنته ستة عشر سنين، وأتى بعده السلطان عبد الحميد خان وحكم خمسة عشر سنة.[1]

انتقل المؤلف إلى فضائل العثمانيين قائلا:

ومما نقل من تاريخ آل عثمان أن السلطان عثمان خان أول السلاطين العثمانية كان محبا للمشايخ ومستمدا منهم، وكان في زمنهالشيخ "باده بالي" فرأي رؤيا أن القمر طلع من حرم الشيخ ودخل في حضنه فقصص الرؤيا على الشيخ، فقال الشيخ معبرا للرؤيا الدولة المنصورة المؤيدة، فزوج الشيخ ابنته من السلطان عثمان.

كان اسم الزوجة مال خاتون وهي والدة السلطان أورخان وهو أول من افتتح بورصة، وعثمان غازي أول من دفن بها بعد الفتح لأنها فتحت بعد وفاته بأيام.[2]

* الباب الثاني: في دخول العساكر العثمانية المتهورة الإفريقية لإنقاذها من أيدي أهل الكفر والظلال.

في هذا الباب تطرق الكاتب عن تحرير العثمانيين من أهل الكفر والظلال، وكان الحاكم في تلك الفترة سليم خان الثاني، حيث عند سماعه ما يحدث في تونس جراء الغزو الاسباني، قرر باستنقاذ تونس من أيدي أهل الزيغ والظلال ويتقدم لنصرة الإسلام وإذلال عبدة الصليب والأصنام، هنا أصدر السلطان أوامره إلى وزيره سنان باشا بالاستعداد للتوجه إلى تونس لفتحها وإعادة نفوذ الدولة العثمانية إليها.

في هذا الشق تحدث الكاتب عن هذه الحرب التي دارت بين العثمانيين وأهل الكفر، حيث ذكر عدد السفن وعدد المقاتلين وحتى أيام الوصول إلى المضائق، فعل

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص63

[2] نفسه، ص65.

حسب قوله "فقد شحنوا 200 غراب وعدة كثيرة من شونات المراكب الكبار لحمل الأثقال والمدافع وكان عدد السفن 1500 سفينة وكان يوم بروزهم من القسطنطينية يوما مشهودا في ساعة مباركة سنة إحدى وثمانين وتسعمائة..."[1]

أرست العساكر العثمانية بمرسى حلق الوادي ونزلت العساكر المنصورة ونصبت وطاقات الباشا على مسافة لا تصل المدافع من حضن حلق الوادي إليها فتقدموا بالبنادق وآلات الجهاد فوجهت إلى صوب الكفرة مع المكاحل، وتهيأ الكفار للنزال فترامو بالمدافع، وشارك في هذا الحصار الجيش الجزائري، فأعطاه عدة من المدافع وعين لهم جهة الجنوب من حلق الوادي واستمر القتال، فأخذ ما حصنه الكفار وقتل من فيه منهم، وبعد هجوم دام يومين من الاستيلاء على حلق الوادي أباد العثمانيون المدافعين عن القلعة من آخر رجل فيهم وأعدم جميع الأسرى انتقاما لأرواح المسلمين وغنموا جميع ما بها من ذخائر وعدة وعتاد.[2]

وبعدها تحدث الكاتب كيفية التغلب عن النصارى وقتل العديد منهم وقيامهم بترميم الحصن وعمارته وحفظه بالعساكر والآلات الحربية وكيف قاموا بنشر الإسلام إلى بلاد الإسلام ليأخذوا المسلمون حظهم من الفرح، حيث تطايرت أخبار هذه البشائر إلى سائر أقطار المسلمين، ولولا لطف الله تعالى بهم لتم أذى الكفرة الفجار جميع المسلمين، فيتعدى أذاهم من تونس إلى أخذ الجزائر وطرابلس فيحكمون قلاعها وأسوارها وحصونها ويردد عن الإسلام عربان المغرب، فيتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الإسلام.[3]

---

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص71.

[2] نفسه، ص73.

[3] نفسه، ص75.

* وفي الباب الثالث: ذكر أمراء تونس من العساكر العثمانية بعد فتح الباشا سنان – رحمه الله تعالى– حيث ذكر عهد الباشوات والتي كانت أقصر مدة امتدت بين عامي 1574 و1591 وكان خلالها حاكم إيالة تونس بعين مباشرة من قبل السلطان العثماني لمدة ثلاث سنوات وبحكم قلة هذان الفترة لم يذكرها الكاتب بكل تفاصيلها، فبعد ضبط ملك تونس، ومقدار قواعدها ودعموها، واستمرت البلاد على أيديهم خلفا بعد سلف، وساعدهم القدر وأصلحوا ما فسدوا من قلاع وأسوار وجعلوا لهم قوانين يتميزون بها، وأجروا في أول أمرهم الأحكام على قانون الجزائر، وبعد نهاية عهد الباشوات الذي قام بإنهائه انقلاب عسكري من قبل طائفة انكشارية على رؤساء الديوان واستبداله،[1] بعهد الدايات، حيث صار لكل حزب رئيس فاجتمع عدة رؤساء وصار كل رايس يدعى باسم الداي، فاجتمع منهم نحو ثلاثمائة داي وإذا حل بهم أمر اجتمعوا في القصبة وتشاوروا بينهم على أن يتفقوا على أمر واحد، وهنا ذكر محمود مقديش العديد من الدايات أولهم إبراهيم داي وكان أكبرهم واشتهر بشجاعته وكثرة جماعته وبعده موسى داي الذي مكث نحو سنة ثم عثمان داي وهو أقل الدايات جمعا، وتولى بعده يوسف داي فاستقام أمره بلا تعب رشحه عثمان داي في حياته وفي أيامه تحضرت البلاد وكثرت عمارتها وكثرت مراكب الجهاد وكثرت رؤساء البحر وخيراته كثيرة منها جلب الماء العذب وبناء المراجل في الأماكن المعطشة وله صدقات عديدة، فتولى بعده الداي أسطى مراد وهو أكبر مماليك يوسف داي وكان يرى أنه أحق بالأمر من غيره، وقام بالأمر بعده الداي أحمد خوجة وعند وفاته تولى بعده الحاج محمد لاز، ومن هنا ارتفعت رتبة الباي عن رتبة الداي.[2]

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص82.

[2] نفسه، ص87.

❖ بداية البايات:

أول من سما البايات وتسمى بهذا الاسم على الحقيقة القائد رمضان من الأعلاج، أصله من أهل الجزائر وانتقل إلى تونس تخرج من مماليكه عدة رجال من بينهم مراد باي، رمضان باي، وحسن باي، حيث كان أعلاهم همة مراد و علم بسياسته الرعية، حيث استخلفه في حياته وهنا كانت بداية الدولة المرادية وبعده تخلى لولده حمودة باشا وأسس الأمور على أحسن منوال كان كامل الذات وحسن الصورة والأفعال والأخلاق وكان خليفته في السفر رمضان باي وحسن باي وجعفر باي ومصطفى باي،[1]وذكر الصفاقسي بعدها الدايات في عهد المراديين، فبعد وفاة حمودة باشا خلفه ابنه الأكبر وهو مراد باي وسلك مسلك أبيه في تطويع العصاة، وبعد وفاته قام مقامه أبناءه الشقيقان محمد باي وعلى باي تم التطرق إلى الفتنة التي دارت بين هاذين الأخيرين ودور الداي أحمد شلبي في هذه الفتنة بعدما ذكر فتنته واتفاق الأخوين محمد وعلي باي على قتاله وكيف كانت نهاية علي باي وفي هذا الجزء من البايات شرح محمود مقديش كل الأحداث تقريبا بالتفصيل،[2] وتطرق كذلك إلى حسين بن علي وقيام الدولة الحسينية والفتنة الحسينية الباشية.

وآخر هذا الباب هناك خاتمة جاءت بعنوان في ذكر ما يتعلق بصفاقس ووطنها وفيها عدة أبواب.

– الباب الأول: في ذكر وضعها وما يتعلق بذلك وتأسيس سور صفاقس و قال الصفاقسي: "كانت صفاقس في ابتداء أمرها محرسا من المحارس برجا في موضع قصبتها الآن، وهو البرج الأحمر المحاذي لسيدي جبلة، وكان هناك أناس يقال لهم الأعشاش وآخرون يقال لهم النواولة..."[3]

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص99.

[2] نفسه، ص133.

[3] نفسه، ص171.

– الجامع الكبير: فبعد الخراب الذي ساد من قبل النصارى وابن كيداد الخارجي والطاعون والأعراب واستولى الخراب على معظم المسجد فقاموا بمواجع غلات الأوقاف الكثيرة والتجهيز لبناء المسجد وإعادة تهيئته من جديد فأكملوا بناءه على تقوى من الله ورضوان، ثم إن البلد لما كانت مشتهرة بالعطش أن عمدتهم على شرب ما يختزن من ماء المطر، فلما قدم الناصر من مراكش لإنقاذ البلاد أمر ببناء مصانع لطيفة خارج البلد من شمالها وسموها بالناصرية، وذكر محمود مقديش كذلك الريض القبلي وكسوف الشمس والطاعون وأثره الذي عان منه العديد من دول المشرق وآراء بعضهم في صفاقس أمثال التجاني.[1]

الباب الثاني: تحت عنوان في ذكر ولاتها أي صفاقس.

أول من اختلط سورها وجعلها مدينة أحمد بن الأغلب فكانت ولاتها تتردد عليها من قبل بني الأغلب من ولاتها حمو بن مليل، تميم بن المضر، وولاتها أيام الموحدين الحسن ابن المغر، وعبد المؤمن والشيخ عمر، ولاتها أيام الدولة الحفصية أبي فارس، ابن عطية جلي، ابن الإنكشاري.[2]

الباب الثالث: فيما وقع لأهل صفاقس من الجهاد في هذه الأعصار المتأخرة.

ذكر أبو الثناء مقديش في هذا الباب حروب صفاقس مع مالطة وحروبها مع البلنسيان في هذا الباب نقل لنا الكاتب وقائع الحروب في الغزوات البحرية في عهود علي باشا الأول وحمودة باشا الحسيني والتي جمعت المجاهدين التونسيين ضد المالطيين البلنسيان، وفي آخره قال: "ولما أعيت الكفرة الحيل ولم يقفوا على طائل من محاربة المسلمين بل وقفوا في مهاري التلف وخسارة الدارين، وضيعوا أموالهم وقتلت رجالهم، وتشتت آرائهم، وتلف أحوالهم، وغنم منهم المسلمون غنائم عظيمة، نكسوا على رؤوسهم

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص190.

[2] نفسه، ص206.

وأعدوا عدة مراكب وقدموا لتونس طالبتين الصلح فاشترط عليهم السلطان نصره الله بذل جميع ثمن المركبين وأموالا غيرها فبذلوا جميع ما أجت ودخلوا في ربقه العهد والذمة طوعا أو كرها كغيرهم من أصناف الكم، هنا تبين أن الله ينصر المسلمين ويكون معهم في كل الأوقات حتى وبقلة عتادهم لكن إيمانهم بالله وأسرارهم القوي يدفعهم دائما إلى النصرة على أمل الكفرة الذلة.[1]

– الباب الرابع: وهو آخر باب في الكتاب جاء تحت عنوان "في ذكر بعض أهل الخير والصلاح من العلماء والأولياء المتقدمين بصفاقس ووطنها بدأه بمفهوم الوالي والكرامة، فقال "ولما كان ذكر الأولياء مستلزما لذكر شيء من كراماتهم فلا يسيء الأدب مع أولياء الله وإلا وقع في العطب وكان هذا الكاتب كلما يذكر بعض العلماء الصالحين من صفاقس إلا قال رضي الله تعالى عنه فذكرهم بحسب ترتيبهم الزمني نذكر منهم: ترجمة أبو خارجة عنبسة وترجمة القاضي عيسى بن مسكين وترجمة الشيخ أبي اسحاق الجبنياني ومناقبه، ترجمة الأديب عبد الله الجبنياني، ترجمة الفقيه أبي القاسم عبد الرحمان اللبيدي وغيرهم الكثير من التراجم.

ومع الأخير خاتمة الناسخ قام بوصف محمود مقديش بذات القدرة والأنام، ومحلي الظلام، وعلامة زمانه، حامل قول التحقيق ومالك أزمة التوقيف، وقدوة الأفاضل ومحلي المعاضل وعمدة الخلف وختم بكلمة خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم تسليما دائما وأبدا والحمد لله رب العالمين.

وينتهي الكتاب بذكر الفهارس وتم ذكر بتنظيم محكم وجيد وبدأ بكلام الله باقتباسه الأحداث بآيات من القرآن الكريم ويلبه فهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأشعار مع ذكر اسم الشاعر ونحو البحر وحتى التنوع في القافية، وقهر الأعلام بترتيب حسب الحروف

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص229.

من ألفها إلى بائها، وبعدها فهرس أسماء البلدان والأماكن وأسماء القبائل والطوائف، وفهرس أسماء الكتب المذكورة في النص وفي الأخير المصادر والمراجع المتنوعة.

المطلب الثالث: مصادر الكتاب

– اعتمد محمود مقديش على مصادر متنوعة هي تقريبا المصادر التي اعتمدها معاصروه كالوزير السراج مثلا.

– استعمل المصادر التي أشار إليها إما بصفة مباشرة كالوفيات لإبن خلكان ونزهة المشتاق للإدريسي ورحلة التجاني، ورحلة العياشي وتاريخ الدولتين للزركشي إلى غير ذلك، وتبدو مصادره قليلة أو فيها بعض التخليط، فهو عند كلامه عن الدولة العثمانية نقل كثيرا من كتاب "الإعلام بأعلام بيت الله الحرام".

وقائمة المصادر الذي ذكرها واستعملها بطريقة أو بأخرى هي التالية حسب الترتيب الأبجدي:

1– الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطب النهروالي.

2– بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة.

3– تاريخ الخلفاء للسيوطي.

4– تاريخ الدولتين للزركشي ولم يصرح بالنقل عنه.

5– تاريخ الطبري.

6– جامع مسائل الأحكام للبرزلي نقل منه مرة واحدة عند ترجمة أبي يحي زكرياء بن الضابط تلميذ الإمام اللحمي ولم يتراجع في ترتيب المدارك والديباج.

7– جذوة المقتبس للحميدي.

8- الحلل السندسية للوزير السراج.

9- حسن المحاضرة للسيوطي.[1]

10- فريدة العجائب لإبن الوردي.

11- رحلة التجاني.

12- رحلة العياشي.

13- رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب الأندلسي.

14- رياض النفوس للمالكي.

15- زبدة التواريخ للبيضاوي.

16- سمط اللال لمحمد قوسيم النواوري.

17- صاحب كتاب فضل الحبيب والنديم اللبيب، طبيقات المناوي.

18- عجائب المخلوقات القزويني.

19- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للثعلبي.

20- كتاب العبر لابن خلدون.

21- الكامل لابن الأثير.

22- المختصر في أخبار البشرلاني الفداء الأيوبي.

23- مروج الذهب، المسعودي.

24- مسالك الأبصار: لابن فضل الله العمري.

[1] محمود مقديش، نفس المصدر، ص18.

25- معالم الإيمان: للدباغ.

26- معالم التنزيل: للبغوي.

27- مناقب أبي الحسن الكراي.

28- مناقب سيدي أبي اسحاق الجبناوي: للبيدي.

29- مناقب سيدي محرز بن خلف.

30- المؤنس لابن أبي دينار.

31- نزهة المشتاق: للشريف الإدريسي في القسم الأول من الكتاب (قسم الجغرافيا).

32- وفيات الأعيان لابن خلكان.[1]

المطلب الرابع: أهمية وقيمة الكتاب

لقد اختلفت الآراء حول قيمة هذا الكتاب فمنهم من يقولون أن "نزهة الأنظار" ليس فيه أثر يستحق الاهتمام والجهد والنشر كما ذكر محمود مقديش قائلا: فإن الكتاب يغلب عليه طابع النقل و التجميع و قد أشار إلى ذلك نالينو، و كراتشوفسكي و أحمد عبد السلام في أطروحته لاعتبارهم أن مؤلفها نقل عن غيره دون إجتهاد منه كما نقل الصفاقسي كلام أحمد عبد السلام : إن المقالات التي خصصها المؤلف للتاريخ تعتمد على النقل، و لكنها أقل شمولا،[2] وغيرهم يقول بأن محمود مقديش أخذ مكانته بين المؤرخين، لنقله كل أخبار تونس وكان شاهد عيان لذلك،فترجم له ابن أبي الضياف في الإتحاف، و محمد مخلوف في شجرة النور الزكية.[3]

[1] محمود مقديش، نفس المصدر، ص19.

[2] محمود مقديش، المصدر السابق، ص23.

[3] نفسه، ص7.

تكمن أهميته بأنه زود التاريخ المعاصر عامة والتاريخ التونسي والعثماني خاصة بمعلومات مهمة عن تاريخ تونس العثمانية، وخاصة أن المؤلف يعتبرها شاهد عيان على الأحداث التي سردها، لأنه كان قريبا من الحكام في تلك الحقبة.

أخذ كتابه "نزهة الأنظار" مكانته بين كتب التراث التاريخي، و صار يستعمل مرجعا في كتابة التاريخ الحديث المتعلق بالمدن والإقتصاد، والاجتماع، وعلاقة المغرب بالمشرق أثناء القرن الثامن عشر.[1]

اعتمد الكاتب على الإستشهاد بالآيات القرآنية للتأكيد على صحة أقواله، فعندما تحدث عن حروب صفاقس مع البلنسيان عندما نصر المسلمين من عاتق الكفار، استشهد مقديش في هذا الموضع بقول الله تعالى "زد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا وعزيزا "وذكر الصفاقسي" وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار"[2]و لقوله تعالى: "فتمثل لها بشرا شويا".[3]

كما استشهد أيضا بأحاديث نبوية عندما تحدث عن أهل الخير والصلاح من العلماء والأولياء، باقتباسه من الحديث الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" بقوله فكانوا ورثة نبيهم.كذلك ذكر محمود مقديش قوله صلى الله عليه و سلم "ليبلغ الشاهد الغائب"[4]

القارئ لكتاب محمود مقديش يرى كثرة عبارات الدعاء والترحم على كل عالم وسلطان وباي وداي وغيرهم من الحكام وحتى ذكر العديد من الأبيات الشعرية، لقول الصفاقسي توفي المعتضد –رحمه الله تعالى–[5]

[1] محمود مقديش، المصدر السابق، ص7.

[2] محمود مقديش، المصدر السابق، مج2، ص254.

[3] نفسه، ص239

[4] محمود مقديش، المصدر السابق، ص36

[5] نفسه، ص263

الأفكار التي جاء بها الكاتب كانت نوعا ما ليست بسهلة الفهم، غير أنها كانت بأسلوب مباشر، وهذا لأنه تعمق كثيرا بسرد بعض الأحداث ووصفه للأماكن والأشخاص كان دقيقا جدا كما ذكر مقديش في كتابه أنه استعمل النقل الحرفي ، النقل مع تغيير بعض الكلمات، التلخيص مع استعمال بعض العبارات الجزئية.[1]

اعتمد صاحب الكتاب على كم هائل من المصادر العربية والمراجع الأجنبية التي أثرت محتوى الكتاب.

كان محمود مقديش في بعض الأحيان لا يرتب الأحداث فكان يقدم حدث عن حدثكما ذكر في كتابه اقتضى ترتيت محمود مقديش لكتابه، و تصميمه له، أن لا يتبع تسلسل النصوص بالمراجع التي استعملها بل كان في نقله و تلخيصه يستعمل ما جاء بها بالتقديم و التأخير كون ضبط أو إشارة،[2] إلى جانب ذلك كانت لغة الكتابة عربية بسيطة وكثيرا ما كانت بعض الكلمات باللغة العامية.

بالرغم من قرب الكاتب من أغلب الأحداث التي كتب عليها في هذا الكتاب إلا أنه استعان بمصادر أخرى في الأحداث البعيدة عنه، وهذا ما جعل مصادره تتعدد وتتنوع على حسب الأحداث.

نزهة الأنظار كتاب له قيمة لا يمكن نكرانها وإن كانت فائدة الجزء الأول محدودة فإن الجزء الثاني له أهمية خاصة وأهمها الخاتمة التي يؤرخ فيها المؤلف لمدينته وهي ثلث الكتاب بجزئية وهو في هذا ينفرد بما لم يسبقه إليه غيره.

[1] محمود مقديش، المصدر السابق ،ص17

[2] نفسه، ص 18

محمود مقديش كانت له مكانته بين المؤرخين التونسيين فترجم له ابن أبي الضياف في الإتحاف ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية وكراتشكوفيسكي في الأدب الجغرافي ومحمد محفوظ في تراجم المؤلفين التونسيين وغيرهم.

المبحث الثالث: أوضاع تونس خلال العهد العثماني على ضوء ما ورد في الكتاب

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والدينية

المبحث الثالث: أوضاع تونس خلال العهد العثماني على ضوء ما ورد في الكتاب

المطلب الأول: الأوضاع السياسية

على ضوء ما ورد في الكتاب عرفت تونس خلال القرن السابع عشر تطورات وأحداث سياسية مختلفة، فبعد أن أصبحت إيالة عثمانية سنة 1574، شهدت تونس ثورة الدايات على سلطة الباشا المعين من قبل السلطان العثماني سنة 1591، وتتابعت سلسلة الدايات على الحكم طيلة القرن السابع عشر، حيث امتازت الفترة الأولى من حكمهم بالقوة و فرض السيادة إلا أنه إبتداءا من سنة 1643م أخذت هذه القوة بالتراجع فاسحة المجال لتنامي وبروز سلطة البايات المراديين الأمر الذي أدى إلى حدوث صراعات مستمرة بين الطرفين على مدى القرن، وبالرغم من رجوح الكفة إلى الطرف المراد في الربع الأخير من القرن، إلا أن بذور الشقاق كانت قد تغلغت إلى أعماق البيت المرادي، الأمر الذي عجل بنهايته مع نهاية القرن.

* عهد الباشوات:

تكلم محمود مقديش على عهد الباشوات حيث قال:تمام الفتح المبارك، وسافر الباشا سنان قام الينكشرية بعده فضبطوا ملك تونس ومهدوا قواعده ودعموها فتمكنت أقدامهم ورسخت، واستمرت البلاد بأيديهم خلفا بعد سلف وساعدهم القدر وأصلحوا ما فسدوا وجعلوا دار الإمارة بها، وهي المعبر عنها بدار الباشا،[1] بعد أن أكمل سنان باشا

[1] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص85.

فتح تونس وأنهى الحكم الحفصي فيها وأصبحت تابعة لتونس رسميا وقبل أن يغادر تونس أخذ بتنظيم كل شؤونها فألحقها في بادئ الأمر بولاية الجزائر.[1]

عهدت إلى الباشا مهمة التمثيل السياسي للسلطان العثماني فكان الرجل الأول في تراتيب الجهاز السياسي – العسكري العثماني بالولاية ، لكن منذ البداية برزت ثنائية السلطة داخل هذا الجهاز فإلى جانب الباشا صاحب القرار السياسي الأول نظريا كان الآغا رئيس الديوان صاحب القرار الميداني في ظرف تميز بأسبقية المهام الحربية العسكرية، هذا بالإضافة إلى المحدودية الزمنية التي ميزت فترة ولاية الباشا.[2]

فبعد مغادرة الباشا ترك إمارة الأمراء لحيدر باشا كان الباشا يسعى للإصلاح وتنظيم البلاد وكان بها الكثير من المفسدين استخدم ضدهم الأمرين منتهجا بذلك سياسة إضعافهم وتصفيتهم فعزل وعين مكانه رجب باشا لأن رأو فيه رجل عادل، فعين من جديد حيدر باشا واليا على تونس وبذل مجهود كبير لتحصين الولاية،[3] كما عمل جعفر باشا من بعده على التخفيف من مساوئ سلفة واصلاح آثارهم ففوضى الإنكشاريين وتدخلهم أفسدت تماما إدارة الباشوات، بالإضافة إلى التحديات الداخلية التي واجهت الإدارة العثمانية بتونس، كانت هناك تحديات خارجية على أطراف الإيالة من الحدود الشرقية طرابلس الغرب ومن الحدود الغربية الجزائر فقد تضافرت جل هذه العوامل للحد من اتساع المجال الترابي للسلطة بصفة قلصت عائداتها وكشفت محدوديتها فانتقل الخبر هذه الظروف وقاموا بانقلاب عسكري فكان على الأتراك استنباط نظم جديدة وإعادة ترتيب

---

[1] محمود مقديش، نزهة الأنظار في عهد عجائب التواريخ والأخبار، ج1، ط1، ت ح علي الروادي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص85.

[2] دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، د.ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص55.

[3] محمود مقديش، المصدر السابق، ج1، ص918.

أجهزتهم وهياكلهم بحثا عن مجاعة أكثر لاستكمال نفوذهم وبهذا انتهى عهد الباشوات في تونس.[1]

وكان عهد الباشوات فترته قصيرة امتدت بين عامي 1574 – 1591.

* عهد الدايات: (1591م – 1610م)

أشار الصفاقسي في كتابه إلى عهد الدايات قائلا: ثم إن العساكر تحزبوا أحزابا و صار لكل حزب منهم رئيس فاجتمع عدة رؤساء و صار كل رايس يدعي باسم الداي، و معنى هذه اللفظة بلغة الترك خالي بلسان العرب و هي تكبيرة لمن ينادي بها في عرفهم، فاجتمع منهم نحو ثلاثمائة داي و إذا حل بهم أمر إجتمعوا في القصبة و تشاوروا بينهم الى أن يتفقوا على أمر واحد، و لكن لا يتم لهم أمر إلا بعد مشقة لكثرة الخلاف الناشئ عن كثرة الدايات.[2]

كان الدايات ضباطا من أصل تركي، ثم أنهم استولوا على الحكم بفضل عسكر الإنكشارية أو بفضل بعض كتله، فقد كانوا من الأصل قوادا عاليين يعينهم الأتراك المستقرون بتونس على عين المكان ودون أدنى تدخل من الحاضرة اسطنبول بل وكان الدايات يفرضون سلطتهم حتى على الممثلين الرسميين للحكم العثماني بتونس مثل الباشا،[3] أما منصب الباشا فقد صار منصب شرقيا إذ يكتفي هذا الأخير بالحلة السلطانية، ويمثل مصالح الباب العالي ويعتبر ابراهيم داي أول الدايات عمل هذا الشخص مدة ثلاث سنوات وفي نفس الوقت كان عمله يصادف مدة الوالي حسن باشا، وقد حاول الإنفراد بالحكم لكنه لم يوفق بعد أن عاد من الحج بدأ في النزاع مع أحد البولكباشية، حيث قام جنود الإنكشارية بثورة سنة 1591 على طائفة البولكباشية التي

[1] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص56.

[2] محمود مقديش، المصدر نفسه ،ص87

[3] محمد الهادي شريف، تع، محمد الشاوش، محمد عجينه، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، دار سراس للنشر، 1002، تونس، ص71.

يمثلها كبار الضباط وأعضاء الديوان،[1] وقد جاءت هذه الثورة كرد فعل على الأوضاع المزرية التي آلت إليها تونس بعد استئثار تلك الطائفة بأمور الحكم والمال، فلقد برزت بوادر أزمة مالية اقتصادية تعيشها البلاد والسلطة الجديدة بعد سيطرة تلك الطائفة بأمر الحكم.

فقد ترتب على إثرها قتل أعضاء الديوان والضباط،[2] فبعد هذه الثورة اغتنم عامة الجند الأزمة لقتل رؤساء الميليشيا التركية المحتكرين لعضوية الديوان بضباطهم الصغار المباشرين لهم وكان يطلق عليهم لقب "داي" فصار كافة الجند الأتراك ممثلين تمثيلا مباشرا في أهم دولاب سياسي آنذاك، وقد تم ذلك في منتصف شهر أكتوبر 1591.[3]

وأصبحت بذلك القرارات داخل المجلس جماعية لكن هذه التجربة باءت بالفشل إذ ظهرت داخل الديوان خلافات حاول كل منهم الإنفراد بالسلطة وبداية من هذه المحاولة تحولت السلطة من تونس إلى أيدي الدايات.[4]

وبعد نجاح الثورة سنة 1591 تتابعت سلسلة من الدايات الأقوياء على حكم تونس نذكر أبرزهم[5]:

عثمان باي: (1598-1610)

كان يتمتع بشخصية قوية وكان يفرض نفسه على الجميع بفضل ما كان يتمتع به من عنفوان وبركة،[6] كما أشار الصفاقسي بأن عثمان باي هو أقل الدايات جمعا إلا أن

---

[1] الفونصوروسو، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تح، عبد الكريم الواقي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغاري، 1992، ص106.

[2] دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، دط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

[3] محمد الهادي شريف، المرجع نفسه، ص72.

[4] نفسه، ص74.

[5] أنظر الملحق رقم 02

[6] محمد الهادي شريف، المرجع نفسه، ص72.

القدر ساعده، فوقع بينه وبين صفرادي مشاجرة، فذهب كل واحد منزله ولبس لامة حربه وأقبل إلى القصبة فسبق إليها عثمان فجلس في سقيفتها واجتمع إليه بعض جماعته، فلما رأى صفرادي مقبلا للقصبة بعث إليه من رده وأمره بالخروج من البلد فخرج إلى الجزائر ومكث بها دهرا طويلا ولم يعد حتى فرغت أيام عثمان داي،[1] وأما عثمان فإنه لما لقي صفرادي فخاف أكثرهم فهربوا من بين يديه وسكن غالبهم في أطراف البلاد خفية منه، وهو أول داي انفرد بالكلمة في سنة سبع وألف، وكانت فيه شجاعة قوية بحيث يباشر الأمور بنفسه، وربما سمع ببعض الخباث في الغابة للمفسدين من الأتراك ينتهبون الغلة يخرج بجماعة في طلبهم حتى يظفر بهم، وكان أهل البساتين قبل ولايته إذا طابت غلاتهم طلبوا من أهل الديوان من يحرسهم ممن يجتري عليهم من العسكر لنهب غلاتهم فيعينون لكل مكان سافجيا يحرسهم،[2] وصرح محمود مقديش قائلا:و كثرت في أيامه غنائم البحر، وظهر في أيامه صيت محمد باي ابن حسين باشا، فكان قبطان البحر بغلائطه فأتى بعدة غنائم، فكان إذا جاءته الغنائم طلع لحلق الوادي فيبيع الغنيمة كلها من التجار فيربحون ربحا عظيما،[3] وفي عهده قدم المهاجرون من الأندلس إثر قرار الطرد سنة 1609،[4] فأوسع لهم عثمان داي في البلاد مع كثرتهم وفرق ضعفائهم على الناس وأذن لهم أن يعمروا، حيث شاءوا فانتشروا في البلاد وبنوا فيها، واستوطنوا عدة أماكن فأنشئوا بلاد سليمان وبلي ونيانو وقرنبالية وتركي والجديدة وزغوان وطبربة وقريش الواد ومجاز الباب والسلوقية.

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص88.

[2] أبو عبد الله القيرواني، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، في مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، سنة 1286م.

[3] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص89

[4] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص55.

كما قال أبو الثناء:فصارت لهم مدن عظيمة وغرسوا التين والعنب والزيتون وأكثروا البساتين ومهدوا الطرقات للمسافرين وصاروا يعدون من أهل البلاد.[1]

توفي عثمان داي يوم سبعة عشر من شوال من سنة تسعة عشرة وألف، ودفن بتربة الشيخ سيدي أحمد بن عروس وتولى بعده يوسف داي، سارعن نهج سابقة في التخلص من منافسيه، وقد عرف يوسف كيف يكسب رأي العامة بفضل سياسته الحكيمة اذ يقول صاحب الذيل في ذلك، "...واستقام أمر يوسف داي، وانتشر عدله في الرعية، وأهل البلاد، وحسن الثناء عليه..."، حيث أولى عناية خاصة لذوي العلم الذين تلتف حولهم العامة، وتجسد ذلك في شخصية الولي "أبي الغيث الغشاش"،[2] كما اتسم عهده بالرقي والرخاء، ويعود ذلك إلى الحزم الذي اتصف به في تسيير أمور البلاد.[3]

وقد وصفت فترة حكمه بالعصر الذهبي للحكم العثماني بتونس، حيث اهتم يوسف داي بتطوير الأسطول البحري، وذلك بهدف توسيع مجال القرصنة، إذ بلغ عدد مراكب أسطوله خمسة عشر مركبا من المراكب الكبار دون الصغار،[4] حيث ذكر محمود مقديش أن في أيام يوسف داي تحضرت البلاد، وكثرت عمارتها وكثرت مراكب الجهاد في البحر، وكثرت رؤساء البحر، ومن أعظم رؤسائه أولا قبطان صمصوم وقبطان وردية كان نصرانيين فاسلما فصار لهما صبت في البحر فساعدت المقادير بغنائم البحر و اطمئنان البر .[5]

---

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص90

[2] حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تج، الطاهر العمراوي، ط2، الدار العربية للكتاب تونس، 1975، ص93.1

[3] ألفونص روسو، المرجع السابق، ص116.

[4] أحمد بن أبي الضياف، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ج2، ص39.

[5] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص92

✓ الداي أسطى مراد:

أشار الصفاقسي الي الداي أسطى مراد قائلا:بويع صبيحة اليوم الذي مات فيه يوسف داي وكان أكبر من سعى في توليه أسطى مراد مامي، وهو أكبر مماليك يوسف داي، وكان يرى أنه أحق بالأمر من غيره، إلا أنه قدم أسطى مراد على أنهم إن رضوا به دبر في خلعه واستبد بالأمر، فلما تم أمر أسطى مراد عاجله ونفاه لزغوان، فقتل هناك.[1]

له الفضل في إنشاء مرسى غار الملح، اذ اتصف هو كذلك بالحزم والمهابة وحب العدل، وقد أولى أهل الذمة باحترام كبير ودأب على حمايتهم عند الظلم.[2]

✓ أحمد خوجة:

بعد وفاة أسطى مراد استلم مقاليد الحكم بعده الداي "أحمد خوجة" الذي كان يشغل منصب الدفتر دار (كاتب الديوان)، حيث تولى الأمر بعد أن اجتمعت عليه الأغلبية، وقد شهدت فترة حكمه أحداثا خطيرة، كفلو الأسعار وتفشي الطاعون سنة 1053هـ/1643م إذ دام سبع سنين حتى نسب هذا الوباء إلى الداي،[3] و قال محمود مقديش:في أول توليه جاءت أغربة مالطة فدخلوا حلق الوادي، وأخذوا منه المراكب وأحرقوا عدة مراكب فلم ينفعهم البرج، فمن ثم زيد برج آخر تحصينا للمرسى، وتوفي أحمد خوجة سنة سبع و خمسين و ألف.[4]

وقد تمكن الدايات من عهد عثمان 1610م إلى عهد أحمد خوجة 1648م من فرض سلطة ذات سيادة داخل البلاد وخارجها، حيث عملوا على إعادة الأمن و الإستقرار

[1] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص95.

[2] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 47-48.

[3] حسين خوجة، المصدر السابق، ص94.

[4] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص96.

للمنطقة وتمكنوا من إخضاع القبائل الثائرة، كما عني قطاع القرصنة والتجارة باهتمام كبير وفي هذه الأثناء بدأت تظهر سلطة موازية لنظام الدايات.[1]

❖ عهد البايات: (1610-1881)

قال محمود مقديش من خلال كتابه نزهة الأنظار: لما كانت دولة بني حفص في أيام استقامتها، كان سلاطينهم يخرجون بمالهم لجباية أموالهم، ولما جاءت دولة العساكر العثمانية تقسمت البلاد بين القياد، فأول من سما وأظهرنا موس البايات وتسامى بهذا الإسم على الحقيقة القائد رمضان من الأعلاج أصله من أهل الجزائر ثم انتقل إلى تونس وتحصل على هذه المرتبة وكانت له سياسة وتدبير حسن وتخرج من مماليكه عدة رجال أخذوا المناصب في حياته فمنهم مراد باي، ورمضان باي، وحسن باي وكان أعلاهم همة وأبعدهم صيبا مراد، فكانت فيه زيادة خدق وقوة علم بسياسة الرعية وتدبيرها.[2]

❖ عهد البايات المراديون:

اقترن ظهور الباي بمهمة قيادة الأمحال وترويض القبائل وضمان ربح جبائي، ولئن كان القائد رمضان هو أول باي عينة الدايات 1599-1613، فإن هذه الخطة لم تسم ولم تبرز كمؤسسة قائمة بذاتها إلا مع مملوكه مراد كورسو حيث ذكر محمود مقديش قائلا: لما مات أستاذه أراد (أخوه) رجب باي أن يستبد وحده بالأمر، فلما خرج بالمجال لم يقم بها حق القيام كما يقوم مراد باي و لما خرج بها مراد أتى بها على أحسن مراد،[3]

[1] عزير سامح التر، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ج2، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص294.

[2] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص98.

[3] نفسه، ص 98

الذي عينه يوسف داي على المنصب اثر وفاة سيده في 1613 رغم الظروف الحرجة التي ميزت فترته لاسيما حرب تونس ضد الجزائر في 1628 حول قضية الحدود.[1]

فكر حمودة باشا في الحد من النفوذ القوي للدايات، حيث واصل على نهج أبيه الذي يقوم على قمع القبائل المحاربة الكبرى ولاسيما القبائل التي تعيش على أطراف البلاد وتقومها من ذلك قمعه لأولاد سعيد المعتمين بالحامة وفك الحصار عنها فيما بين 1635-1636، واشتملت حملات أيضا جبالية عمدون و أولاد شنوف بغرب البلاد وقبيلة ورغمه في الجنوب وذلك بعد سلسلة من الحملات العسكرية امتدت من سنة 1631 إلى حدود 1645.[2]

قام حمودة باشا بعد حصوله على الباشوية بتقسيم البلاد أقساما بين أولاده الثلاثة "مراد، محمد الحفصي وحسن"، فقد ولى مراد أمر المجلة وجعل بيد محمد الحفصي سنجق إفريقية وأطلق لقب الباي على كل واحد من أبنائه.[3]

أصبح الباي إذن في أواسط القرن السابع عشر الحاكم الأول بالبلاد مما توفرت له من إمكانيات اقتصادية وعسكرية د، وازداد نفوذ حمودة باشا المرادي، وبالتالي اعتراف الباب العالي به، وأصبح له من النفوذ ما قول له فرض مرشحه لخطة الداي لكنه لم يعمد إلى تفجير الصراع بصفة واضحة بينه وبين الطائفة العسكرية والدايات حتى وفاته سنة 1666، بعد وفاته خلفه ابنه مراد الثاني فقد ذهب أشواطا بعيدة في أصفاف الطائفة العسكرية فبادر بخلع الداي مصطفى قاره كوز وعوضه بالحاج محمد أوغلو فردت عليه

[1] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص58.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، ط2، تونس، 1323هـ، 1905م، ص94.

الطائفة العسكرية التركية بعزله وتنصيب الحاج شعبان خوجة دايا في 14 جويلية 1669 فعزله مراد الثاني وعوضه بالداي محمد منتشالي في 12 آفريل 1672.[1]

تفاقم الصراع بين المراديين والطائفة العسكرية التركية، عندما اغتنم الأتراك فرصة خروج مراد الثاني بالمحلة إلى دواخل البلاد للانقضاض على السلطة، فقاموا بتعيين محمد آغا بايا على الأمحال والحاج علي لازدايا ولاحقوا الموالين للمراديين بالعاصمة وصادروا أموالهم وعولوا في ذلك على نصرة قبائل المثاليين وأولاد سعيد، أعداء البايات المراديين استغل أعضاء الديوان الفرصة لتعميق الفرقة وترسيخ الشقاق بين الأخوين بهدف تصفية بعضهما البعض، حيث اتفق العم مع ابن أخيه على أن يتنازل عن الحكم أمام مجلس الديوان على أمل التخلي له عن المنصب بعد أن يتم له الأمر وكان له ذلك لكن الأمر لم يرق لمحمد باي، وأعلن الحرب على عمه، وكانت النتيجة أن أبعد محمد الحفصي إذ فشل في تعبئة الجيش ضد ابن أخيه، حيث كان يلقي معارضة شديدة واستعاد محمد باي الحكم في نفس السنة وأمر أخاه بالخروج للمرسى.[2]

وبعدما تخلص محمد باي المرادي من عمه أصبح يتمتع بممارسة حكم البلاد دون أية معارضة من جانب أخيه علي الذي خيل له أنه قد تمكن من قطع دابر نفوذه نهائيا، حيث التجأ أولا لدى عامل قسنطينة الجزائري، دالي داي الذي زوجه ابنته ثم بدأ يزحف لقتال أخيه محمد باي، حيث هزم الأخير في معركة تعرف ب "موقعة الكريمة" وأسقط في يد أعضاء الديوان الذين مالتهم هذه الانتصارات وقام بخلع الداي ماهي جمل وتعويضه بالحاج محمد بيشارة.[3]

---

[1] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص60.

[2] ألفونصوروسو، المرجع السابق، ص128.

[3] المرجع نفسه، ص129.

لكن الأمر عاد فانتسب لمحمد باي، إذ هزم شقيقه بعد خروجه لمطاردته إلى بلدة الكاف التي كان يتحصن بها، ثم رجع الأمر إلى باي واستمر الصراع بينهما، وقد شاركت في هذا الصراع أطراف مختلفة، إذ لم ينته إلا بعد تدخل جزائري لصالح محمد باي سنة 1684 وقتل أخوة في نفس السنة،[1] ثم استنجد المراديون بدورهم بأتراك الجزائر وتمكنوا من هزم أحمد شلبي آخر الدايات الأقوياء وتعويضه بالداي الحاج بقطاش في جوان 1688، وانتهت الحرب بانفراد المرادي بالحكم 1686-1696 بالرغم من المحاولة الفاشلة التي قام بها محمد طاطار في 26 نوفمبر 1694 لكن هذا الانتصار لم يكن يعني استرجاع البيت المرادي نفوذه، حيث فشل آخر المراديين رمضان باي (1692-1966) ومراد الثالث (1699-1702) في إعادة الإستقرار الإقتصادي والإجتماعي ومعالجة الأزمة الشاملة للبلاد بل أن الطابع الدموي الذي ميز حكم مراد "بوبالة" قد عمق القوة والقطيعة بين العائلة المرادية والأهالي.[2]

لقد كانت البلاد تعيش في ظروف طبيعية واقتصادية حرجة بسبب الجدب والغلاء والوباء فضلا على تقليص المداخيل المتأتية من القرصنة فسرعان ما انقلب ابراهيم الشريف ضد الأهالي وظهر كقائد عسكري.

❖ ولاية إبراهيم الشريف: (1702-1705)

أشار أبو الثناء محمود مقديش قائلا: تولى إبراهيم الشريف يوم السبت ثالث عشر محرم فاتح سنة أربعة عشرة ومائة وألف، فسار أولا سيرة حسنة وأبقى ذوي المراتب على مراتبهم إلا قاسم بن أحمد فإنه عذبه بالسجن حتى مات وولى عوضه قاره مصطفى دايا وجعل آغا القصبة كاتبه محمد الأزعر.[3]

[1] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص61.

[2] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص61.

[3] محمود مقديش، المصدر نفسه، ص148.

لقد استغل ابراهيم الشريف القطيعة التي كانت تميز علاقة الأهالي بالعائلة المرادية وتمكنه من قتل مراد باي في استقطاب العامة، وحيازتهم لصفه من جهة وفي ارضاء فئة الدايات.

لكن هذا الوفاق لم يدم طويلا خصوصا وأن البلاد كانت تشهد أوضاعا طبيعية واقتصادية حرجة، كما أن الاضطراب السياسي التي كانت تعيشه البلاد حد من مدخول القرصنة التي كان يشغل حيزا كبيرا في خزينة الدولة.[1]

وفي سنة 1704 وقعت الحرب بين إيالة يونس وطرابلس الغرب وسبب ذلك علم ابراهيم أن خليل قد صار عددا من الجياد الأصيلة النادرة التي كانت تمر عبر إيالة طرابلس الغرب في طريقها إليه في تونس هدية من باشا مصر فكتب إليه ابراهيم يوبخه لكن خليل رفض.[2]

أعلن ابراهيم الشريف الحرب عليه ودعا الديوان التونسي إلى الإنعقاد حيث وافق أعضاؤه، ثم تلقى من حكومة الجزائر وعدا بمساندته في ذلك وكان غرض الجزائريين عكس ذلك لأنها كانت تأمل في سد عجز خزينتها بما قد تحصل عليه من مكاسب نتيجة الحرب وكذلك السماح لها باستيراد ومع التونسي لكن ابراهيم قابل هذا الطلب بالرفض بحجة أن بلاده هي أخرى تعاني أوقاتا عصيبة.[3]

قال الصفاقسي: وقع الطاعون على تونس فبلغ سبعمائة كل يوم، فأحصي من مات في سنة أشهر فكان أربعين ألفا فما خف الطاعون إلا وعساكر الجزائر قرب الكاف فزاد ابراهيم الشريف في تقوية الكاف بالرجال وبقي بالمرصاد، فنشبت حرب بين الجزائريين

---

[1] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص62.

[2] ألفونصوروسو، المرجع السابق، ص152.

[3] المرجع السابق، ص153.

والتونسيين فانهزم ابراهيم الشريف وأخذوه إلى الجزائر وتم سجنه وبعده قدموه إلى أخيه محمد ببرج الكاف حيا.[1]

ب- عهد البايات الحسينيون: (1705-1814)

ذكر محمود مقديش أنه اجتمع أهل الحل و العقد من العلماء و أكابر العسكر بتونس فنصبوا ديوانا لتولية من يصلح للقيام بأمر الخلق،فلم يجدوا أصلح من المقام الأرفع و الصدر الهمام الأمنع ذو السياسة اللطيفة و المكارم المنيفة سيدي حسين باي بن علي[2] في ظروف عصيبة من صيف 1705 تولى مقاليد الحكم رجل يدعى حسين بن علي، فقوم الوضع وأسس في الآن نفسه ملكا سيكتب له الدوام في ذريته إلى سنة 1956 يبدأن تأسيس هذا الملك في القرن الثامن عشر لم يتم دون حدوث مشاكل فمن سنة 1728 إلى 1756 بل وحتى سنة 1762 شهدت البلاد سلسلة من الاضطرابات والثورات ولم تبلغ المملكة الإزدهار الذي يلفته أيام حمودة باشا (1782-1814) إلا بعد هذا التاريخ.[3]

وبهذا دخلت تونس فترة جديدة في تاريخها وذلك بوصول الأسرة الحسينية[4] إلى الحكم في ظروف صعبة لكن مؤسس الدولة "حسين بن علي التركي" استطاع أن يضمن له ولأبنائه من بعده شرعية وراثة العرش في تونس.[5]

كانت فترة حكم هذا العامل تتسم بالسماحة والحكم فلقد تمتع الأهالي التونسيون في ظل حكمه بعهده تسود السكينة التي لطالما تشوقوا إليها في أعقاب سنوات طويلة كدرتها

---

[1] محمود مقديش، المصدر السابق، ص152.

[2] نفسه،ص155

[3] محمد الهادي الشريف، المرجع نفسه، ص81.

[4] أنظر الملحق رقم 03

[5] شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تع محمد مزاين والبشير بوسلامة، ط3، الدار التونسية للنشر 1978، ج2، ص382.

الفتن والحروب الأهلية، وفي اليوم نفسه الذي تولى فيه رفع العسكر التركي أحد أقربائه، المدعو محمد خوجة الأصغر إلى منصب الداي، ولقد اشتهر وزراؤه بحسن التدبير، كما اتسموا بالحصافة والذكاء، فرقعوا بذلك عن كاهله جانبا من أعباء الحكم.[1]

لقد ارتكز حسين بن علي في الحكم على سياسة داخلية قوامها التحالف مع الأعيان المحليين في المدن والأرياف ودمجهم في دواليب الدولة وأجهزتها، كما أعاد الإعتبار للمذهب المالكي ورموزه العالمة، وتقرب من الزوايا والأولياء الصالحين وأتباعهم فمتعهم بالإمتيازات العديدة.[2]

ازدهرت الحياة الاقتصادية في عهده، وذلك من خلال الصادرات المتمثلة في المنتوجات المحلية سواء كانت ألبسة أو حبوب فقام بإبرام معاهدات مع فرنسا 1710-1728 ومع انجلترا 1716، واسبانيا 1720، وهولندا 1728، والنمسا 1725، وهكذا ركز علاقاته الدولية دون تدخل الباب العالي.[3]

ورغم النجاح الذي حققه في المستوى السياسي والإداري والعسكري فإن سياسته الجبائية أثقلت كاهل جزء هام من المجموعات الريفية مما جعلها تشتغل أول أزمة سياسية داخل البيت الحسيني فعلى إثر إبعاد حسين بن علي لابن أخيه علي عن الخلافة بتنصيب ابنه الأكبر محمد بايا وتحويل منصب الباشا له توترت العلاقة بين الباي حسين وابن أخيه، ومرت الحرب الأهلية بعدة أطوار الأول منها بانتصار حسين بن علي وفرار علي باشا إلى الجزائر سنة 1729، أما الطور الثاني فبدأ برجوع علي باشا ودخوله إلى

[1] ألفونصوروسو، المرجع السابق، ص161.

[2] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص63.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص382.

تونس واستحواذه على السلطة بإعانة أتراك الجزائر فاستتب الأمر لعلي باشا فسلك سياسته أقر جل الإخباريين طابعها القهري والاستبدادي أحيانا.[1]

وقد ظهر ذلك أولا على الصعيد المحلي بقلت خطير في السكة حتى أن الريال تردى إلى نصف قيمته وبامتداد لظاهرة العنف وبممارسة للمشترى، وقد أثارت هذه السياسة ردود فعل عديدة من ثورات كانتفاضة عسكر الإنكشارية وانتفاضة قبيلة الهمامة الكبيرة، أما على الصعيد الخارجي فلم تكن سياسة علي باشا دون سياسته الداخلية حدة وعنفا فقد استولى على مركز الجنوبيين التجاري بطريقة وأسر جالياتها الأجنبية ووضع حدا للوجود المسيحي.[2]

أما علاقته مع الجزائر فقد تدهورت وانقلبت الموازين، بحيث عمل أتراك الجزائر على إرجاع أبناء حسين بن علي إلى الحكم ومع عودتهم إلى السلطة بتونس دخلت الدولة الحسينية في فترة استقرار طويلة نسبيا.[3]

تولى الأمر ذلك أبناء حسين بن علي محمد باي ثم علي الثاني الذي كان يتسم بالحذر جيرانه "الجزائريين" وكانت علاقاته تحسنت مع فرنسا ماعدا تلك الحرب القصيرة التي لم تكن لها من نتيجة، ومن الممكن تفسير سياسة علي باي ورجال دولته المقربين مثل مصطفى خوجة والوزير الكاتب حمودة بن عبد العزيز بتغلغل الرأسمالية الأوربية داخل البلاد التونسية وبتكامل مصالحها وتعايشها مع مصالح البايلك، كما على الصعيد الداخلي فإن سياسته كانت على نفس القدر من المرونة والليبرالية، فقد تخلى البايلك على قسم من اختصاصاته وعن تدخل المباشر في الحياة الاقتصادية.[4]

---

[1] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص85.

[2] نفسه، ص85.

[3] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص65.

[4] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص87.

نجح علي باي في إعادة الأمن والإستقرار إلى البلاد، وفي نفس الاتجاه استغل الظرفية الأوربية لربط العلاقات التجارية مع فرنسا خاصة ومع أوروبا عامة، وعلاقته مع دايات الجزائر ظلت غير متوازنة ولعل ذلك كان من أهم الأسباب التي دفعت بعلي باي لتعيين ابنه حمودة باشا باي خليفة له تحسبا لأي تدخل آخر لدايات الجزائر، حيث تتفق جميع المصادر التاريخية على اعتبار عهده بالعصر الذهبي للدولة الحسينية وحقق الكثير من الانتصارات يعود هذا إلى حسن استقلاله للظرفية المتوسطية فقد كانت الدول الأوربية تعيش في حروب، هذا ما جعلها وضع حد للقرصنة التونسية اغتنم الظروف ليحد من نشاط التجار الأجانب ويدعم التجار المحليين.[1]

وفي هذه الأثناء كانت فترة حكم حمودة باشا الطويلة قد قاربت نهايتها: فهاهو باعث الاستقلال التونسي، المقدام والمحنك يدنو من الموت ليفارق هذه الحياة الدنيا التي لم ينعم فيها بالراحة قط، وذلك قبل أن ينجح تماما في ترسيخ دائم صنيعه، فلقد عاجلت الهيئة حمودة باشا فجأة،[2] سنة 1814 انقلبت موازين القوى في المتوسط دخلت الدولة الحسينية والبلاد التونسية من مرحلة أخرى من تاريخها، فقد تظافرت الأزمات الديمغرافية والفلاحية مع التدخل الرأسمالي الأوربي لتولد أزمة شاملة بالبلاد لم تتمكن سياسة الإصلاحات التي بدأت مع أحمد باي من وضع حد لها.[3]

وبعد استعراض أهم الأوضاع السياسية لإيالة تونس نذكر أهمها:

1- الإضطراب السياسي والذي يفسره مرور النظام العثماني بالإيالة التونسية بعدة تطورات، حيث تسببت فيها عدة أزمات فمن سلطة التمثيل المباشر التي تتجسد في

[1] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص66.

[2] ألفونصوروسو، المرجع السابق، ص302.

[3] دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص67.

شخصيته الباشا، إلى سلطة عسكرية تمثلت في شخصية الداي إلى سلطة وراثية وهي أقرب للملكية جسدها الباي المرادي.

2- الاستقلال التدريجي لإيالة التونسية عن الدولة العثمانية، وقد تجلى ذلك في سقوط نظام الباشوات الذي يفرض تبعية الإيالة للباب العالي في العشرية الأخيرة من القرن السادس عشر لم يعد للباشا سوى المنصب الشرفي.

3- في فترة الدايات تأرجحت السلطة في تونس بليت ثلاث قوات فظهر أمير الأمراء والداي وأمير اللواء، لكن في عهد ابراهيم الشريف الذي مثل الفترة الانتقالية بين الأسرة المرادية والأسرة الحسينية الذي جمع بين السلطات الثلاث في شخصيته.

4- قوة شخصية حمودة باشا وذكائه، أهلته ليكون حاكما على قدر المسؤولية في تسيير شؤون الإيالة، إضافة إلى أنه أحاط نفسه برجال لا يقلون عنه شأنا، مما كان له أثر كبير في توجيه سياسة الباي الداخلية والخارجية.

5- التنافس الجلي على السلطة والذي يفسر الصراع القائم بين فئتي البايات والدايات.

6- ازدياد النفوذ الأوربي خاصة مع فرنسا واستفادة هذه الأخيرة من الظروف السياسية التي مرت بها تونس فلعبوا دورا أساسيا في الجوسسة والتجارة.

المطلب الثاني: الأوضاع الإقتصادية

على ضوء ما ورد في كتاب محمود مقديش عندما تم ضم تونس إلى الدولة العثمانية قام سنان باشا بتنظيمها تحت إمرة حيدر باشا يساعده كل من الداي كقائد على العسكر والباي لضبط الجباية، وهو ما جعل حكام تونس يعملون على تنشيط المنطقة تجاريا من خلال إنشاء الأسواق والقناطر لفرض الأمن والإستقرار وربط مناطق الإنتاج بالتسويق.

وقام الداي عثمان ببناء قنطرة ثنية بنزرت وجهز الحملات العسكرية ضد مطماطة لضمان الإستقرار في سنة 1609م،[1] كما قام بعدة غارات على قطاع الطرق الذين يعترضون للمسافرين، كما قام بحراسة غلال السكان من النهب والسرقة وقطع عادة وضع حراس عليها مقابل دفع المال لهم، فأصبحت حراسة الحقول تحت نظره، كما بنى يوسف داي سوق بجانب سوق الترك واستغله تجار جربة،[2] وأنشأ سوقا للبيع العبيد والحلي وأنشأ سوق آخر في باب البنات وفتحه سنة 1026هـ – 1611م وسوق آخر لبيع الغزل، كما بنى قنطرة مجردة من ناحية طبرية، كما قام بحملة ضد مطماطة في سنة 1611م وفي سنة 1612 م حملة على تيفاش وفي سنة 1613 حملة على السدادة وهدم قلعتها[3]

يرتكز الإقتصاد بصفة عامة على جملة من العناصر الأساسية المتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة بنوعيها الداخلية والخارجية.

كما يعتمد الإقتصاد التونسي على الزراعة بالدرجة الأولى بسبب وفرة الأراضي الزراعية الخصبة والمناخ الملائم الذي يساعد على تنويع المحاصيل الزراعية وتطوير الإنتاج، حيث تحتوي على مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة التي تمتاز بجودة

[1] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص90.

[2] الوزير سراج، نفس المصدر السابق، ص355.

[3] محمود مقديش،المصدر السابق،ص93

الإنتاج خصوصا في السهول ذات التربة السوداء، بحيث تكون في فصل الشتاء متسعة بمياه المطر، كما لها شواطئ تؤخر بالثروة السمكية وبالمرجان، فكانت التربة الخصبة في الركن الشمالي والشمالي الشرقي للإيالة، لتفقد الأرض خصوبتها كلما اتجهنا نحو الجنوب إلى أرض الجريد، حيث ندخل إلى أرض ذات تربة رملية فقيرة فكانت مواطنا لتربية المواشي وحرفة الرعي إلى جانب ظهور الواحات التي بها فلاحة النخيل، ومن العوامل التي أسهمت في تنمية المنطقة و جعلها تشهد نهضة فلاحية هم الحكام الذي كان شغلهم الشاغل توفير الأمن والاستقرار للإنتعاش في جميع المجالات، حيث اهتموا بالفلاحة من خلال وضع بعض القوانين مثل قانون الميزان الذي وضعه عثمان داي،[1] إلى جانب وضع حراس على الحقول الفلاحية وهذا ما ذكره محمود مقديش لما انفرد عثمان داي بحكمه باشر الولاية بجأش متين وأحاط البلاد خارجا وداخلا وكانوا أصحاب البساتين قبل قوله إذا طابت غلاتهم طلبوا من الديوان من يحرسهم خوفا منلص ينهب غلاتهم فيعينون لكل مكان حفظة ويجعلون لهم جملا على حفظهم فأبطل عثمان داي تلك العوايد وصار يحرسهم بعنايته لخوف العادين والسراق منه وجعل تلك العادة يأخذها الساقجي.[2]

وكانت تونس تحتوي على الأراضي ذات التربة السوداء والحمراء والنوعية الجيدة التي قل نظيرها في كامل بلاد المغرب والبلدان الأخرى، وقد اشتهرت بتنوع محاصيلها كالقمح والشعير والزيتون والكروم، فقد تميزت مدن بعينها بإنتاجها الوفير، وجودة محاصيلها، مثل مدينة باجة التي تتوفر على مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة ذات الإنتاج الوفير وفيها سهل خصب ينتج جميع الغلال والمنتوجات،[3] ومن المناطق الخصبة كذلك قرطاجة التي اشتهرت بجودة منتوجاتها وتنوعها، خاصة الخوخ والرمان والتين

[1] حسن الحسني، مرجع سابق، ص161.

[2] محمود مقديش، نفس المصدر السابق، ص89.

[3] محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار،تج، إحسان عباس، دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، 1975، ص74.

والزيتون فقد كانت تزود العاصمة تونس بالفواكه والثمار، بسبب توفرها على أراضي خصبة صالحة لجميع أنواع الزراعة، إلا أن المساحات الزراعية بها قليلة مقارنة ببعض المناطق التونسية الأخرى، لأن موقعها بين البحر والجبل حد من المساحات المزروعة بها.[1]

وأشار الصفاقسي أن في عهد البايات المراديون شنوا عدة حملات عسكرية على الأرياف لمراقبة إنتاج الأراضي الفلاحية والحصول على كميات كبيرة من الحبوب والزيوت والجلود والشمع والعسل، في شكل ضرائب ومطالب مالية، خصوصا بعد أن تمكن الباي مراد قورصو وابنه وخليفته حمودة باشا المرادي من كسر شوكة القبائل الكبرى كأولاد شنوق في النواحي الغربية وأولاد سعيد بالجهات الجنوبية، وهو ما جعل العديد من سكان الإيالة التونسية يدخلون تحت وطأة نظام جنائي ثقيل، حولهم من خدمة الأرض إلى حياة الترحال الموسمي للهروب من تلك المقاوم والجبايات الثقيلة.[2]

بالإضافة إلى ذللك أشار الصفاقسي أن المجتمع التونسي عرف صناعات تقليدية تستمد خاماتها الأولية من الإنتاج الزراعي والحيواني، وهذا يفضل براعة الأسر التونسية في إنشاء صناعة تفيدها في حياتها اليومية، هذه الخيرات كلها يعتمد عليها البايات الحسنيين في قطاع التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية من أجل الصعود بالبلاد، فقد تركزت الصناعة بالمدن الساحلية أين ازدهرت وتطورت وكان لها نظامها الخاص بها وقوانينها التي تتحكم فيها التي تنظم العلاقات بين الحرفيين والصناع، وقد تركزت الصناعات والحرف اليدوية بالمدن الكبرى مثل تونس وصفاقس وباجة والقيروان وسوسة والمهدية وغيرها

[1] محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص75.

[2] محمود مقديش، المصدر السابق، ص99.

وهذا ما ذكره محمود مقديش في آراء بعضهم في صفاقس، حيث قال التجاني: ومرساها مرسى حسن ميت المات والماء يمد به ويجرز عنه كل يوم، فإذا جزر استوت السخن على الحمأة، وإذا مد طفت على الماء وفي المد والجزر يقول بعض المجيدين من شعرائها وهو علي بن حبيب التنوخي وسيأتي ذكره قريبا:

سقيا لأرض صفاقس ذات المصانع والمصلى

فحمى القصير إلى الخليج فقصرها السامي المعلى

بلد يكاد يقول حين تزوره أهلا وسهلا.[1]

حيث حافظت هذه الصناعات على الموروث الحضاري المتوارث على الآباء والأجداد معتمدين في استمرارها وديمومتها على المواد الأولية الموجودة والمصنعة محليا مثلا الصوف والجلود والأخشاب والمعادن والحلفاء.[2]

كانت تظم أسواق المدن التونسية الكبرى عددا كبيرا من التجار الحرفيين الذي زاد غناهم نتيجة الأرباح التي تدرها عليهم هذه الصناعات والإتجار بها، وأمام تزايد هذه النشاطات ارتأى التجار والباعة إلى تنظيم الأسواق بطريقة رائعة تعبر عن ذكائهم واتقانهم لمهنهم، فقد تنظموا في شكل مجموعات لكل مجموعة أو حرفة رئيسها الخاص بها، ولكل سلعة مكانها الذي تباع وتسوق فيه، كالصناع والعطارين وبائعي الأشربة والعقاقير المحلات بالسكر، وتجار العطور وصانعيها، وصناع الحرير والخياطين والسراجين

[1] محمود مقديش، المصدر السابق، ص190.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية الجزائر، المغرب طرابلس الغرب، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص93.

والخبازين واللبنانيين وألفا كما تبين والقصابين "الجزارين" وغيرهم من الحرفيين الذين يمارسون نشاطهم في هذه الأسواق.[1]

أما الصناعات الأخرى كالأسلحة والبارود وصناعة الخشب والحلي والذهب والفضة والجلود وبناء السفن، وبالرغم من عدم تطورها مقارنة بالنشاطات النسيجية إلا أن البلاد التونسية شهدت اهتماما بهذه الصناعات بسبب توفر المواد الأولية محليا ووجود اليد العاملة المحلية المؤهلة ولقد تركزت هذه الصناعات ببعض المدن مثل مدينة تونس، حلق الوادي، جهات الوطن القبلي، زغوان، قرنبالية وسلمان، وقد ساهم الأندلسيون واليهود المهاجرون في تطويرها والمحافظة عليها، بالإضافة إلى أهل البلاد الذين كانوا عماد هذه الصناعات.[2]

أما في الأرياف فقد انتشرت صناعات موجهة للاستهلاك والاستعمال المحلي مثل: السروج وبعض أنواع المجوهرات، والخيم وبعض الأواني التقليدية التي تصنع من الحلفاء مثل: أواني الأكل كأطباق الخبز و أواني شرب الماء والحليب، خاصة وأن الأرياف كانت مناطق رعوية بالدرجة الأولى فكان يشترك الرجل والمرأة في صناعة هذه الأواني وتسويقها محليا، أين تباع في أسواق منظمة بالرغم من صغرها وقلة عدد روادها بحكم قلة عدد سكان الأرياف وبعدهم عن بعضهم بمسافات بعيدة جدا ونقص وسائل النقل التي كانت بدائية في ذلك الوقت مثل: الحمير والجمال والبقال والخيول وطبيعة العنصر البدوي الذي يفضل التنقل والترحال من مكان إلى مكان ومع ذلك كانت هذه الأسواق أماكن مفضلة لتجار الأرياف والمدن الصغيرة للبيع والشراء، حيث تعقد أسواق يومية أو أسبوعية في ساعات واسعة ورحبة يجد فيها التجار والزبائن راحتهم، وتعرض فيها البضائع بالإضافة إلى الحيوانات كالأغنام والماعز والبقر والإبل في الهواء الطلق

[1] الحسن الوزان بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، تر محمد حجي محمد الأخظر، ط2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص75.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص37.

ومن أهم هذه الأسواق: سوق الريض الشمالي والجنوبي (نسبة إلى باعة الحلفاء)، وساحة التباين (نسبة إلى باعة التبن) ساحة الغنم، ساحة الخيل وساحة الماعز... وغيرها.[1]

أشار الصفاقسي الى مجال التجارة قائلا : يمكننا أن نميز بين نوعية من المبادلات التجارية بتونس محلية وخارجية مع أقطار المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء والدول الأوربية وعلى إثر حكم تونس إلى الدولة العثمانية قام شأن باشا بتنظيمها تحت إمرة حيدر باشا ويساعده كل من الداي كقائد على العسكر والباي لضبط الجباية وهو ما جعل الحكام تونس يعملون على تنشيط المنطقة تجاريا من خلال إنشاء الأسواق والقناطر لفرض الأمن والإستقرار وربط مناطق الإنتاج بالتسويق وذكر محمود مقديش في كتابه أن الداي عثمان قام ببناء قنطرة ثنية بنزرت وجهز الحملات العسكرية ضد مطماطة لضمان الإستقرار في سنة 1609م،[2] والتي ربطت أخصب جهة تزرع فيها الحبوب وهي المنطقة الشمالية بالعاصمة والنواحي المجاورة لها، كما استغرق الباي في بنائها يزيد عن خمسة عشر سنة بعد أن صرف الباي على إقامتها أموالا كثيرة، ومن مظاهر اهتمام هذا الباي بتنشيط التجارة الداخلية هو بناؤه لسوق الباي وهي من أحسن أسواق العاصمة،[3]

كما أشار أبو الثناء الصفاقسي أنه أنشأ سوق لبيع العبيد والحلي وأنشأ سوقا آخر في باب البنات وفتحه سنة 1026ه / 1611م وسوق آخر لبيع الغزل، كما بنى قنطرة مجردة من ناحية طبرية.[4]

---

[1] روبار نشفيك، المرجع السابق، ص37.

[2] محمود مقديش، المصدر السابق، ص90.

[3] بوتوقوماس حفيظة، النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1117 ه – 1246ه / 1705م – 1830م ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة آكلي محند الحاج، الجزائر 2815ه، ص29.

[4] محمود مقديش، المصدر السابق، ص92.

لقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي إلى ازدهار النشاط التجاري، فأصبحت المدن التونسية مراكز تجارية هامة يأتي إليها الأهالي من مختلف جهات البلاد لشراء حاجاتهم الضرورية ومن خلال ذلك نجد انتشار العديد من الأسواق في القطر التونسي و من أشهرها كما ذكر محمود مقديش في كتابه سوق الترك[1]

أما التجارة الخارجية كانت تونس لها سواحل مطلة على الجهة الجنوبية لأوروبا، كمالطا، صقلية، سردينيا، أنابولي، وخدمة لمصالحها التجارية أمضت سلطات الدولة الحفصية العديدة من الإتفافيات التجارية مع حكام هذه الدول يتم بموجبها تنظيم الحركة التجارية الخارجية وضبطها بقوانين خدمة لمصلحة الطرفين خاصة الدويلات الإيطالية التي توثقت علاقاتها مع تونس خلال النصف الثاني من القرن 15، حيث تواصلت العلاقات الدبلوماسية والتجارية بينهم وساعدت النهضة في إيطاليا على ترسيخ تلك العلاقات، الأمر الذي حث العديد من الأمراء الإيطاليين مثل ألفونسو على استيراد بعض الحيوانات من تونس كالخيول والنعام والأسود للتفاخر والتباهي بها،[2] كانت تونس والعديد من مدتها لطلبية، بنزرت، سوسة، وجربة تنتج العديد من السلع توجه إلى الاستهلاك المحلي والفائض، يصدر إلى الخارج مثل زيت الزيتون الذي كان ينتج بكميات معتبرة تكفي لسد حاجيات السكان والفائض منه يصدر إلى الخارج كمصر، بالإضافة إلى تصدير الأسماك التي اشتهرت تونس بجودة منتوجاتها، وكثرتها فقد كان يستهلك على نطاق واسع، خاصة بمدينة تونس التي يكثر بها العديد من الأنواع.[3]

[1] محمود مقديش، المصدر السابق ،ص93

[2] روبار برنستفيك، المرجع السابق، ص293.

[3] عبد المنعم الحميري، نفس المصدر السابق، ص114.

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والدينية

على ضوء ما ورد في كتاب محمود مقديش كانت صفاقس في ابتداء أمرها محرسا من المحارس ، برجا في موضع قصبتها الآن، وهو البرج الأحمر المحاذي لسيدي جبلة ، وكان هناك أناس يقال لهم الأعشاش ، وآخرون يقال لهم النواولة ساكنون في أخصاص من خوص ، لا كسب لهم هناك إلا صيد السمك ، وكان حوالي ذلك المكان بسواحل البحر وما قاربه من الأراضي قرى كثيرة متصلة ومتقاربة ، ولهم في ذلك الموضع في كل يوم جمعة سوق يجتمع فيه أهالي تلك القرى ، فاتخذوا له فنادق لحفظ دواب الواردين وأمتعتهم ، وأحدثت هناك مرسى للقادمين من البحر كأهل قابس وجربة وطرابلس وقرفنه وغير ذلك ، فابتنى الناس لهم مساكن وكثرت الناس.[1]

كغيرها من بلاد المغرب الإسلامي تشكلت البنية السكانية لتونس في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وقبيل التواجد الأندلسي الموريسكي من عدة مكونات عرقية ومزيجها بين العرب والأمازيغ اللذان اندمجا مع بعضهما البعض بفضل الدين الإسلامي والعقيدة الواحدة والمذهب المالكي الذي وجد التربة الخصبة للإزدهار والتجذر، حيث اتخذه المغاربة حكاما ومحكومين كمذهب رسمي لهم على حساب المذاهب الأخرى، تدفعهم في ذلك عدة أسباب نذكر منها:

- الدور البارز الذي لعبه العلماء المغاربية في نشر وتثبيت المذهب ومن أبرز هؤلاء الإمام سحنون وأبي زيد القيرواني.

- طبيعة المذهب المالكي المعتدل وإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل صغيرة وكبيرة من طرف الإمام مالك، جعل المغاربة أكثر تعلقا بهذا المذهب لأنه يمثل الوسطية بكل معانيها.

[1] محمود مقديش، المصدر السابق،ص 171

– تشجيع الحكام بتونس للمذهب المالكي وللعلماء والسادة المالكية، حيث اتخذوه كمذهب رسمي للدول المتعاقبة والناس على دين ملوكهم.

بالإضافة إلى عوامل أخرى جعلت المذهب المالكي يكون سببا من أسباب الألفة والإتحاد بين التونسيين، خاصة وأن اللغة العربية لعبت دورا بارزا وهاما في هذه الألفة، لأنها كانت ولازالت اللغة الرسمية، ولغة التواصل بين جميع مكونات المجتمع التونسي حكاما ومحكومين، بالإضافة إلى اللغة الأمازيغية التي أتقنها الكثير من التونسيين باعتبارها لغة السكان الأصليين قبل الفتح الإسلامي بحكم أن تونس تسكنها العديد من القبائل الأمازيغية المنتشرة والممتدة في كامل بلاد المغرب الإسلامي.[1]

قد توفرت تونس على فسيفساء اجتماعية لضمها أصنافا عديدة من العرقيات التي تفاعلت فيما بينها لتصنع نسيجا متجانسا، فقد وجد في تونس العديد من الأتراك والأندلسيين واليهود وقد شغلوا تصنيفا اجتماعيا مهما في تونس.

– الأتراك: وجدوا فيها كحكام وجنود انكشارية وكانوا يتمتعون بكافة الامتيازات والتشريفات.

– المماليك أو الأعلاج: تولو مهاما سامية من الدولة سواء في الجيش أو البحرية أو الديوان.

– الكراغلة: وهم ناتج المصاهرة والقائمة بين الأتراك والنساء والتونسيات.

– الأندلسيون: توافدوا بكثرة خلال القرن السابع عشر وكان لمجيئهم الأثر البالغ في تغطية النقص السكاني الذي حل بالإيالة خلال القرن السادس عشر.

– الأشراف: وهم الذين يثبت انتسابهم لآل البيت ويحضون بامتيازات رفيعة واحترام كبير.

[1] طاهر تومي، علاقات الإيالة المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520–1792، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس، 1439–1440هـ/ 2018–2019، ص55.

– الحضر الريفيون والبدو.

– العبيد: منهم السرد القادمين من بلاد ما وراء الصحراء عن طريق التجار ومنهم العبيد البيض الذين يسمون بالأعاجم ومصدرهم كان عمليات الأسر البحري، بالإضافة إلى اليهود،[1] إن المكانة الاجتماعية الدونية التي عرفتها فتاة العبيد السود في المنطقة انعكست على حالتها الثقافية والاعتقادية وباستثناء بعض الحالات الفردية المعدودة فإن العبيد لم يتمكنوا من فرض التعليم وحتى التعليم الديني كان مقتصرا على بعض الفئات الراقية (في السلم الاجتماعي)، أما ثقافة هذه الجماعة فظلت حتى هو في القرن ثقافة أقلية حملت معها بعض العناصر الثقافية الأفريقية في التقاليد والفنون واللغات والمعتقدات.[2]

وقد كانت المدينة بحصر المعنى تحتل نفس المساحة البيضوية الشكل التي تحتلها الآن، مع الامتداد في الاتجاه الشمالي والجنوبي، كما أن كثيرا من الفتوحات الموجودة في أسوارها إلى يومنا هذا، يرجع عهدها إلى أوائل العصر الوسيط، فنجد في الشمال باب السويقة الذي يفتح على الربض، وفي الجهة الشمالية الشرقية يقع باب البحر قرب الباب الذي يحمل الآن اسم "باب فرنسا" وهو يربط بين المدينة والميناء وفي الجنوب الشرقي نجد باب الجزيرة نسبة إلى شبه جزيرة الوطن القبلي لأنه يفسح المجال في اتجاهها، وإلى الربع الأخير من القرن الثالث عشر، يرجع تاريخ بابين آخرين مازالا قائمي الذات، يفتحان مثل الباب السابق على الربض الجنوبي، و في اتجاه الغرب باب الجديد وباب المنارة.[3]

---

[1] كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013–2014م.

[2] إعداد مجموعة من الباحثين، تنسيق والهادي التيمومي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي بيت الحكمة قرطاج، 1999، ص387.

[3] روباربرنشفيك، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص371.

إن حاضر تونس من قبل كل شيء مجال مغلق أو محاط بأسوار أو لنقل محروس بأسوار لأن هذه الأسوار لا تعني الإنغلاق الذاتي فهي مفتوحة اقتصاديا وثقافيا وسياسيا على الدواخل والآفاق ولكن هذه الأسوار ترسم في الحقيقة حدود المجال الحضري لفصله سيميائيا عن المجالين الريفي واليدوي، وبالتالي يصبح السور هنا رمزا حضاريا وثقافيا يكتسب منه الحضر أو "البلدية" روح تميزهم وبحثهم الدائم عن التأصل إزاء هؤلاء الأفاقيين البرانية والدخلاء، ولكن يجب أن نغفل مع ذلك، الوظيفة الدفاعية لهذه الأسوار رغم تواضعها خاصة لمواجهة جحافل البدو والزاحفين نحو الحاضرة زمن الفتن والمجاعات والأوبئة، وفي درجة ثانية تمكن هذه الأسوار سكان الحاضرة من الصمود أمام الجيش الجزائري مدة طويلة ولكنها لا يمكن أن تصمد طويلا أمام الجيوش الأوربية الحديثة، وينقسم هذا المجال الحضري المركزي، كما أشار إلى ذلك العديد من الباحثين إلى فضاءات متميزة تحيل على دلالات ثقافية واقتصادية متعددة منجد مثلا "حومة الحرابة"، و"حومة الأندلس" ونهج القبائل" وبالطبع "حارة اليهود" الشهيرة هذا علاوة على ثنائية المدينة – الريض التي ميزت جل المدن العربية الإسلامية. [1]

أشار الصفاقسي إلى الريض القبالي قائلا: وهذا الريض لم يكن قبل وإنما أحدثه الناس بأمر السلطان بعد الإستئذان فيه مرة بعد أخرى، فأذن في سنة تسع وثمانية ومائة وألف فبنى الناس فيه، ولولا ما نزل بالناس من الطاعون لضاق بالناس، واستجد بهذا الريض من رغب في فعل الخير وما عند الله من الثواب والوعد الحسن لمن بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة أن يبني الله له بيتا في الجنة، وهو التاجر أبو محمد حمودة بنى المسجد المشهور بالريض في طريق باب البحر من خالص ماله ابتغاء مرضاة الله

[1] تايب المنصف،المجال و السلطة في البلاد التونسية في العهد العثماني، مجلة روافد ، المعهد العالي التاريخ الحركة الوطنية ، جامعة منوبة تونس، العدد 4 1998 تونس ، ص36

تعالى، ورتب له ما يحتاجه من أمام ومؤذنين وقراء وحفظة وبنى له مضية وصهريجا، وأجرى عليه ما تتوقف عليه العبادة عادة من حصر ووقيد وغير ذلك مما توقف عليه المساجد وأوقف عليه رباعا وعقارا يصرف محصول غلاتها على المسجد والقائم به، تقبل الله عمله وجعله عملا صالحا.[1]

أما في المجال الثقافي فإن تونس أصبحت مناورة ومركزا علميا هاما في المغرب الإسلامي قاطبة منذ الفتح الإسلامي وتأسيس مدينة القيروان فقد امتد اتساعها العلمي إلى كافة إفريقيا فيما بعد، لذلك أصبحت تونس ملتقى رجال العلم والمفكرين والعلماء والطلبة من كل الأنحاء، وفضاء واسعا للمناقشات الفقهية والعلمية والأدبية وميدانا خصبا لجميع الثقافات والآراء الفقهية على اختلافاتها، وبذلك فسح المجال لتعايش ثقافي وعلمي قل نظيره في العالم الإسلامي آنذاك. نتج عنه إخصابا علميا فريدا من نوعه ترجم إلى مخطوطات كتب مازالت جافية وشاهدة على هذا الزحم العلمي الذي أنتجه علماء ومفكرين وفلاسفة بتشجيع من السلاطين والأمراء الحفصيين.[2]

ومن بين هؤلاء الفقهاء والعلماء نذكر ما جاء في كتاب محمود مقديش بذكره علماء أهل صفاقس.

1- ترجمة القاضي عيسى بن مسكين:

أصله من العجم، وكان مشهورا بالصلاح، وعظمة الصالحون بل حتى الشيعة يعترفون بفضله، ولم يزل أهل صفاقس عند القحط يذهبون لضريحه يستسقون به فيسقيهم الله.

[1] محمود مقديش، المصور السابق، ص187.

[2] طاهر تومي، نفس السابق، ص57.

2- ترجمة الشيخ أبي إسحاق الجبناوي ومناقبه:

كان أبوه وجده من أهل الخطط ومسجد ابن سالم وربعه بالقيروان مشهور، وكان جده علي ابن سالم من أهل العلم، وكان من أهل الأدب والفهم ثم ارتفع شأنه عندهم إلى أن صار في حد الوزارة والمشاورة.[1]

3- ترجمة الأديب عبد الله الجبناوي:

كان أديبا شاعرا، طريفا، ذكره ابن رشيق في النموذج وأخبر أن صفاقس موطنه وأن بها منشؤه، وكانت له نباهة ولطافة في جميع أحواله مع نزاهة نفس وعلومهم.

4- ترجمة الفقيه أبي القاسم عبد الرحمان اللبيدي:

قال ابن شرف في صلة لتاريخ الرقيق: كان بقية أهل العلم وله تصانيف في الفقه، وبرع في الفتيا، وذكر الرشاطي أن تأليفه المسمى "بالشرح والتفصيل لمسائل المدونة" كتاب كبير.

قال في المعالم: سمع على الشيخ أبي الحسين القاسي، وأبي محمد بن أبي زيد وغيرهما، وسمع منه أبو عبد الله محمد بن سعدون وغيره من القرويين والأندلسيين.

5- ترجمة أبي عمرو وعثمان الصدفي المعروف بابن الضابط:

أبو عمرو بن أبي بكر بن حمود الصدفي المعروف بابن الضابط الإمام المحدث الشاعر، له رحلة إلى المشرق وأخذ فيها عن جماعة بطول تعدادهم، منهم الحافظ أبو نعيم، صحبة باصبهان، وكتب عنه كثيرا.

[1] محمود مقديش، نفس المرجع السابق، ص248.

6- ترجمة الشيخ أبي حفص عمر القمودي:

من فقهاء صفاقس وشعرائها المتقدمين أبو حفص عمر القمودي، قال في معالم الإيمان: قيرواني الأصل نزل صفاقس، وكان فقيها أديبا مفتيا من حفاظ المدونة والقائمين عليها، ومن حفاظ الشعراء أخذ عن أبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي، وصحب أبا القاسم السيوري.[1]

أما في المجال الديني أشار الصفاقسي في الى الجامع الكبير قائلا: "ثم إن المسجد الأعظم لما تطاولت الأزمنة واستولى على البلاد الخراب من الميورقي والنصارى وابن كيداد الخارجي، والطاعون والأعراب وغير ذلك –حسما مرة فصلا– استولى الخراب على معظم المسجد، فاختصروه بتعمير الجانب الشرقي منه وألغوا الباقي فلما من الله على الخلق بدخول العساكر العثمانية أذهب عن البلاد والعباد الفساد بقطع أيدي الجور والعدوان، والبغي والشقاق والعناد، ولا سيما دولة سيدي حسين باي –رحمه الله– فعمت البلاد واطمأنت العباد، فظهر فضل في غلاف أوقاف المسجد مع ما زاد أهل الخير من أموال وأوقاف، فاسترجع في كل زمان ما أمكن إرجاعه، وكان الخطيب إذ ذاك سيدي عبد العزيز الفراتي الأكبر فقام في هذا الأمر غاية القيام مع مساعدة أهل الفضل من رجال البلاد، ولما وصلوا إلى آخر ما دبر وأرادوا إدخاله وجدوا أساس المسجد الأصلي فاستبشر الناس بذلك، ثم إنهم لما فرغوا من ذلك جعلوا على بعضه سقفا من خشب وأبقوا بعضه بلا سقف على صورة الصحن.[2]

ثم بعد مدة ضاق المسجد بأهله فطلبوا زيادة مسجد ثان بخطبة ثانية، فاستفتوا أهل العلم في ذلك فأجاز بعضهم لضرورة الضيق وكان في وجهة الركن الشمالي العربي ميضأة يمكن الاستغناء عنها وبعض حوانيت ملك لأربابها، وبعضها خلو للمسجد الأعظم

[1] محمود مقديش، نفس المرجع السابق، ص275.

[2] نفسه، ص175.

فأرضوا أصحاب الحكم وأدخلوا الجميع المسجد، وجعلوا العمدان على قالة المسجد، وهذه الزيادة حائطها الشرقي ملاحق لصحن المسجد الأصلي، ففتحوا فيه خمسة أبواب بهور وجعلوا عليها مصارع منقوشة بأبدع نقش.[1]

❖ مسجد يوسف داي:

ذكر محمود مقديش في كتابه مسجد يوسف داي، حيث قال وكان مغرما بالأبنية الفاخرة، كسوق الترك بتونس، فنمقه على أبدع نظام ومسجده المشهور براس سوق.

وكان ابتداء الصلاة في المسجد المذكور يوم الجمعة في شهر رمضان المعظم سنة خمس وعشرين وألف، ومن خيراته جلب الماء العذب على الحنايا المشتهرة به، وفرق ماءها في المدينة في عدة أماكن منها للقبة المرخمة التي تحت صومعة جامع الزيتونة.[2]

❖ جامع الزيتونة:

ومسجد الزيتونة الجامع هو أشد العاصمة التونسية أهمية وأقدمها تاريخا، وأروعها مظهرا، وقد اشتهر هذا المسجد بالجامعة الإسلامية التي تعد من أكثر الجامعات الاسلامية شهرة وأقدمها عهدا في بلاد المغرب.

ولم يسجل المؤرخون عن تاريخ هذا المسجد إلا النذر اليسير، وقال البعض منهم إن حسان بن النعمان بنى في تونس مسجدا غداة فتحه لها سنة 703م، وهذا النص مبهم ولا يقصد به مسجد الزيتونة نفسه أما أول إشارة إلى مسجد الزيتونة، فقد جاءت في كتاب

[1] محمود مقديش، المصدر السابق ، ص177.

[2] نفسه، ص92.

(المسالك والممالك) لأبي عبيد الله البكري، إذ جاء فيه أن عبيد الله بن الحجاب لما ولى افريقية، بنى في تونس مسجد الزيتونة سنة 114هـ/732م.[1]

غير أن هذا المسجد قد احتفظ بمراحل تطوره على ممر السنين، فهو سيجد تاريخه بنفسه أو كتابه في حجارته، فمسجد الزيتونة من هذه الناحية أثر فريد في العالم، وكأنه متحف للنقوش التاريخية، فقد أنشئ وجدد وأصلح وأضيف إليه وزيد فيه، وجمل وزخرف في عصور مختلفة، وقد سجل كل هذا بدقة في نصوص تاريخية، سجل على الحجارة عمل تم فيه من هذه الأعمال.[2]

ويشمل بيت الصلاة والمقصورة العليا الغربية والمحراب والمقاصير المحيطة به، ومنها المنبر ومقصورة الإمام، ويشمل بهو المسجد ومجنباته وصومعته.[3]

إن الحديث عن خصوصيات في بعض المجتمعات، كالمجتمع التونسي بحاجة إلى مزيد من التحليل والتدقيق، إذ كثيرا ما يقع الحديث عن التجانس الذي يسودها في فترات دون أخرى، يعمم ذلك وكأن الحديث عن تنوع الثقافات والأصول مهما اندمجت حياة الباحثين، ونحن نعتقد أن التعمق في تفاصيل التحولات التي اعتبرت هامشية كفيل بتسليط الضوء على الواقع الاجتماعي وتأكيد أن التجانس لا وجود له خارج التنوع، وهو من جهة أخرى سيدفعنا إلى اكتشاف خبايا الواقع ليقع ردم الهوة التي لم تستطع العقود الطويلة أن تخفيها فتشوه انجازات تاريخية عظيمة.

[1] د. أحمد فكري، مسجد الزيتونة الجامع في تونس، ج2، دط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الاسكندرية، 1372هـ/1952م، ص2.

[2] أحمد فكري، المرجع السابق، ص3.

[3] نفسه، ص5.

الخاتمة

الخاتمة:

بعد دراستنا الأوضاع السياسية والاقتصادية والإجتماعية لتونس من خلال كتاب محمود مقديش توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– الشخصية المميزة التي تميز بها الكاتب من خلال نشوئه في أسرة نبيهة من أنبه بيوت صفاقس، حرص على تعليمه مستهينا بالصعاب والعقبات.

– عايش محمود مقديش مرحلة ضعف مدينة تونس وانهيار الحكم فيها هذا ما دفعه للتأليف على بلاده وخاصة مدينته التي تربى وترعرع فيها "صفاقس".

– بعد محاولتنا تحليل مضمون الكتاب توصلنا إلى أوضاع تونس خلال العهد العثماني وأهم الأحداث التي وقعت أثناء وجود الصفاقسيحيث كان شاهد عيان على ذلك.

– استنتجنا من خلال الكتاب بالنسبة للجانب السياسي أن التغيرات التي مرت بها الدولة الحفصية التي كانت بين القوة والضعف من أخطر المراحل بعد وفاة المستنصر، حيث دخلت البلاد في صراع على الحكم، بالإضافة إلى التهديدات الخارجية، لكن بعد تولي أبي العباس بدأت البلاد تسترجع وحدتها.

– مر الوجود العثماني في تونس بعدة مراحل من حيث أشكال تنظيمه وتفاعله مع المجتمع المحلي ونوعية مؤسساته (مرحلة الباشوات والدايات والبابات).

– في فترة الدايات تأرجحت السلطة في تونس بين ثلاث قوات فظهر أمير الأمراء وداي وأمير اللواء لكن في عهد ابراهيم الشريف الذي مثل الفترة الانتقالية بين الأسرة المرادية والأسرة الحسينية جمع بين السلطات الثلاث في شخصيته.

– أما في الجانب الإقتصادي كانت تونس تتمتع بهيبة واضحة في البحر الأبيض المتوسط، خاصة وأن أسطولها كان مرهوب الجانب، كما أن أحوالها الاقتصادية كانت مزدهرة نتيجة وصول القوافل التجارية من قلب أفريقيا عبر الصحراء.

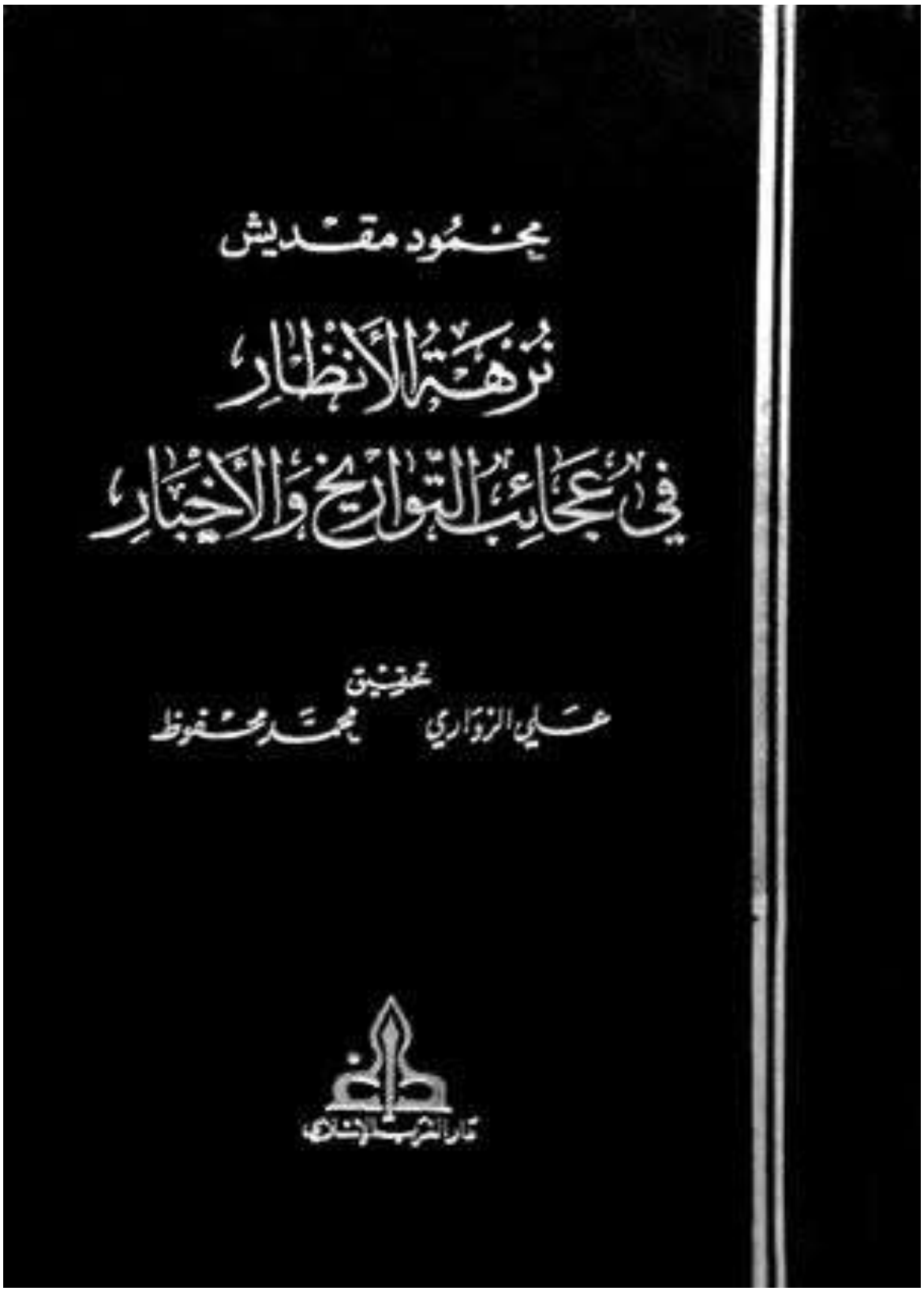
– شهدت تونس قبل وصول الأسرة الحسينية تطورا وازدهارا ملحوظا في الجانب التجاري سواء داخليا أو خارجيا.

– كان العلماء لهم دور كبير في نشر وتثبيت المذهب المالكي وإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل صغيرة وكبيرة من طرف الإمام مالك جعلتهم الأكثر تعلقا بهذا المذهب.

انتشار المدارس العلمية بكثرةمثل الجامع الكبير وجامع الزيتونة و جامع يوسف داي، بالإضافة إلى العديد من الحواضر العلمية والثقافية التي يأتي إليها العديد من طلبة العلم من إفريقيا.

الملاحق

الملحق رقم 01: كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش



الملحق رقم 02:[1]

١٣ - جدول ملخص الحوادث الواقعة في الدور التركي

(من سنة ٩٨١ الى سنة ١١١٧ هـ)

اسماء الولاة	تاريخ الولاية	أهم الحوادث
الوزير سنان باشا	٩٨١	تنظيم الحكومة التركية بالقطر التونسي.
عثمان داي	١٠٠٧	وفود مهاجري الاندلس الى تونس : سنة ١٠١٦ - انتشار العمران.
يوسف داي	١٠١٩	انشاء بنايات فاخمة بالمدائن. - تقدم الاسطول التونسي.
مراد باي	١٠٤١	تقديم أمر البايات. - تأسيس العائلة المرادية.
حمودة باي	١٠٦٨	ترتيب الاوجاق. - انشاء عدة معالم دينية.
محمد باي بن مراد	١٠٨٦	تنازع امرآء بني مراد للسلطة. - تدخل الجزائريين في الشؤون التونسية. - ثورة ابن شكر.
مراد بو بالمة	١١١٠	انهزام الجيش التونسي امام الجزائريين. - اضطراب الاحوال لسوء سيرة مراد بو بالمة.
ابراهيم الشريف	١١١٤	عود الجزائريين الى تونس. - تقديم حسين بن علي الى الولاية.

[1] حسن الحسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص148.

الملحق رقم 03:[1]



[1] حسن الحسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص136.

الملحق رقم 04: الجامع الكبير [1]



[1] أقدم جوامع العالم المسجد الجامع..تحفة تونس الاثرية،
https://www.google.com/amp/s/www.alittihad.ae/amp/news،.
تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2022/06/13.

الملحق رقم 05: جامع يوسف داي[1]



[1] جامع يوسف داي
(تونس)،
https://3rabica.org/%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9_%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%F%D8%A7%D9%8A2022/06/13 تم الاطلاع عليه بتاريخ 81_%D8%A

الملحق رقم 06: جامع الزيتونة[1]



[1] جامع الزيتونة https://m.marefa.org تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/06/13

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ المصادر:

1- الأندلسي الوزير السراج محمد، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق و تح، محمد الحبيب، ج2، الهيلة دار الكتب الشرقية، تونس، 1973م.

2- بن أبي الضياف أحمد، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.

3- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح إحسان عباس، دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، 1975.

4- خوجة حسين، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تج، الطاهر العمراوي، ط2، الدار العربية للكتاب تونس، 1975.

5- القيرواني أبو عبد الله ، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، في مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، سنة 1286م.

6- الضياف بن أبي أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج7، د.ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.

7- المسعودي محمد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، ط2، تونس، 1323هـ، 1905م.

8- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،مج 1و2، تح، علي الزواري محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988، بيروت، لبنان.

9- الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف افريقيا، تر محمد حجي محمد الأخظر، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

❖ المراجع:

10- الأرقش دلندة وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، د.ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

11- إعداد مجموعة من الباحثين، تنسيق والهادي التيمومي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي بيت الحكمة قرطاج، 1999م.

12- برنشفيك روبار، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

13- التر عزير سامح، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ج2، ط1، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

14- جوليان شارل أندري، تاريخ افريقيا الشمالية، تع محمد مزاين والبشير بوسلامة، ج2، ط3، الدار التونسية للنشر 1978م.

15- روسو الفونصو، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تح عبد الكريم الواقي، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغاري، 1992م.

16- الزركلي خير الدين، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال النساء بين العرب والمستعربين والمستشرقين ، المجلد السابع، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1423/2002هـ.

17- سعيدوني ناصر الدين، ولايات المغرب العثمانية الجزائر، المغرب طرابلس الغرب، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

18- الشريف محمد الهادي، تع محمد الشاوش، محمد عجينه، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 2002م.

19- عبد الوهاب حسن الحسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1973م.

20- محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008.

21- مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349م.

22- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج1، ط1، تح هارون بن عبد الرحمان، الدار المالكية، بيروت، لبنان، 2019 - 1440هـ.

❖ المجلات :

23- فكري أحمد، مسجد الزيتونة الجامع في تونس، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ج2، مج4، الإسكندرية، 1372هـ/1952م.

24- المنصف تايب، المجال و السلطة في البلاد التونسية في العهد العثماني، مجلة روافد، المعهد العالي التاريخ الحركة الوطنية ، جامعة منوبة تونس، العدد 4، 1998م تونس.

❖ الرسائل الجامعية:

25- بوتوقوماس حفيظة، النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1117 هـ - 1246هـ / 1705م - 1830م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة آكلي محند الحاج، الجزائر.

26- تومي طاهر، علاقات الإيالة المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين 1520-1792، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس، 1439-1440هـ/ 2018-2019م.

27- العايب كوثر، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014م.

الموقع الإلكتروني:

28- أقدم جوامع العالم المسجد الجامع...تحفة تونس الاثرية، https://www.google.com/amp/s/www.alittihad.ae/amp/news/

تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2022/06/13.

29- جامع يوسف داي (تونس)،https://3rabica.org تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/06/13

30- جامع الزيتونة https://m.marefa.org تم الاطلاع عليه بتاريخ 2022/06/13

فهرس المحتويات

❖ **فهرس المحتويات:**

العنوان	الصفحة
كلمة شكر	/
إهداء	/
قائمة المختصرات	/
المقدمة	أ
المبحث الأول: التعريف بالكاتب	
المطلب الأول: مولده ونشأته	07
المطلب الثاني: شيوخه ومؤلفاته	08
المطلب الثالث: وظائفه ومحنه	10
المطلب الرابع: وفاته	11
المبحث الثاني: التعريف بالكتاب	
المطلب الأول: الدراسة الظاهرية	14
المطلب الثاني: مضمون الكتاب	15
المطلب الثالث: مصادر الكتاب	27
المطلب الرابع: أهمية وقيمة الكتاب	30
المبحث الثالث: أوضاع تونس خلال العهد العثماني على ضوء ما ورد في الكتاب	
المطلب الأول: الأوضاع السياسية	34
المطلب الثاني: الأوضاع الإقتصادية	51
المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والدينية	58
الخاتمة	68
قائمة الملاحق	/
قائمة المصادر والمراجع	/
فهرس المحتويات	/